

٧٢

ملف المستقبل
سري جدا!!

روايات
مصرية للجيب



مبعوث الجحيم



Looloo

www.dvd4arab.com

١ - انتصار الشيطان ..

بدت (سلوى) ، زوجة الرائد (نور الدين محمود) ،
وعضو فريقه العلمى البوليسى ، شديدة التوتر ، فى تلك
الدقائق التى تلت منتصف الليل ، فى مستشفى (القاهرة)
المركزى ، أكبر مجمع طبيّ علاجى فى الشرق الأوسط كله ،
وانطلق توثرها ملحوظًا فى نبرات صوتها ، وهى تسأل رئيس
أقسام الطوارئ بالمستشفى ، فى عصبية :

— كيف يمكن أن يحدث هذا؟! .. كيف يمكن أن يحدث
بالله عليكم؟! .. لقد تركت ابنتى فى حالة جيدة نسبيًا ، وسط
مستشفى مركزى ضخم ، من المفروض أن تلقى فيه خير
رعاية ، فكيف يصيبها ما أصابها؟! ..

كانت تهتف بهذه الكلمات ، ودموعها تسيل على
وجنتها ، فغمغم رئيس أقسام الطوارئ ، فى لهجة تجمع ما بين
الحزم والخبرة ، والعطف والإشفاق :

— صدّقينى يا سيّدتى .. كلنا هنا نبحث عن جواب ذلك



سلوى



نور الدين



محمود



رمزى

السؤال ، فلقد أكدت كل الفحوص والاختبارات ، التي
أجريت لابنتك ، بعد حادث سيارتكما ، أنها في حال جيدة
بنيًا ، ولقد استغرقت في نوم هادئ طبيعي ، وتوقع لها
الجميع أن تستيقظ في خير حال ، إلا أن مسًا شيطانياً قد أصابها
بغثة ، فتحوّلت إلى أنثى نمر مفترسة ، غادرت حجرتها ،
وأطاحت بكل من اعترض طريقها ، في قوة فوق مستوى
البشر ، قبل أن تنهار على هذا النحو ، وتسقط في تلك الغيوبة
العميقة ، التي تجهل أسلوب انتزاعها منها ، على الرغم من كل
تقدّمنا العلمي .

عقدت (سلوى) حاجبها في توثر ، وهي تغمغم في
عصية :

— أتريد مني أن أصدق حرفاً واحداً من هذا ؟
هزّ كتفيه ، قائلاً في حزم :
— هذا شأنك .

ثم ضغط زراً على سطح مكتبه ، فانفتحت في المكتب
فجوة ، التقط منها قطعة معدنية غير منتظمة ، وضعها أمام
(سلوى) ، مستطرذاً :
— ولكن عليك أن تفسري لي ما هذا ؟

تطلعت في خيرة إلى القطعة المعدنية ، قبل أن تغمغم في
توثر :

— ما هذا ؟

أشار إلى القطعة المعدنية ، قائلاً في جدّة ، جعلته يبدو كما لو
أنه قد فقد سيطرته على أعصابه أخيراً :

— لقد كان هذا الشيء ، منذ ساعة واحدة ، أو ما يزيد
قليلاً ، مسدسًا ليزريًا حديثًا .

جعلتها عبارته تتبّه إلى شكل المعدن الملتوي ، إلا أن ذلك
لم يزدّها سوى خيرة ، جعلتها تقول في عصيّة متضاعفة :
— وما شأنى بذلك ؟

هتف في حنق :

— ابنتك هي التي حوّلت المسدس الليزري ، إلى تلك
الكومة السخيفة .

ثم ضمّ قبضته أمام وجهه ، مستطرذاً في جدّة :
— وبقبضتها العارية .

اتسعت عينا (سلوى) ذهُولاً ، وحدقت في الكومة
المعدنية لحظة ، ثم عادت ترفع عينيها إلى رئيس الأقسام ، وكأنما
تتمنى أن يكذب ما تراه ، ثم لم تلبث أن أدركت أنه جادٌ تمامًا ،
فاغرورزقت عيناها بالدموع ، وهي تُتمتم :

— يا إلهي !!.. كيف حدث هذا ؟

تنهد في عمق ، ولان صوته مرّة أخرى ، وقد أدرك
استسلامها للأمر ، وقال في صوت يحمل رثة المشاركة :

— صدّقيني ياسيدتي ، هذا السؤال يُقلقني أكثر مما
يُقلقك .. خاصة وأن تحليل دم ابنتك قد أشار إلى وجود
أجسام غريبة فيه ، نجهل كنهها تماما ، وترتفع إلى نسبة ستين
في المائة .

انهارت فوق المقعد المواجه لمكتبه ، وتعلّط صوتها في
حلقها ، قبل أن يغادره أجش متلعثمًا ، وهي تغمغم :

— أئمة أمل ؟

تنهد على نحو لا يبشر بالخير أبداً ، وهو يغمغم :

— إننا لانفقد الأمل أبداً .

تركت العنان لدموعها ، التي تفجّرت من عينيها ، وسالت
على وجنتيها ، وهي تسترجع البداية ..

لقد بدأ الموقف كله بخلم ..

خلم رأى (نور) فيه جذه الراحل ، يقوده إلى رسالة
عجيبة ، خلف إطار قديم ، في حجرة مكتبه ، في منزله الريفي
المنعزل ..

وأصرّ (نور) على اتباع الرسالة ، واصطحب (سلوى)
إلى المنزل الريفي المنعزل ، حيث وجد الرسالة في نفس الموضع
تماماً ..

كانت رسالة تحوي نقشا عجيباً ، وسط قرص أعجب ،
وتحوي جملة عربية واحدة غامضة ، تقول : « النار وحدها
تغسل الشرور » .

وچار (نور) في فهم العبارة ، وفي إدراك كنه القرص
المنقوش ، المرسوم أعلاها ، حتى ذهب إلى الدكتور (محمد
حجازي) ، أستاذه ، وكبير الأطباء الشرعيين ، والمهتم بعلوم
ماوراء الطبيعة ..

وكانت دهشة الدكتور (حجازي) عارمة ، عندما رأى
القرص والنقوش ، واصطحب (نور) إلى معمله ، حيث كان
يُجرى الصفة التشريحية لمهندس متحجر ، فوجد (نور) نفس
النقش محفوراً على صدر المهندس ، في موضع القلب تماماً ..
وازداد الأمر غموضاً وزهبة ..

وفي نفس الوقت ، كانت ملخمة الرعب تدور في منزل
(نور) ، وترتجف لها زوجته وابنته ..
صنابير المياه تُطلق دفماً ..

الأثاثات ترثجف وتنهار ..

الحياة تدبُّ في المقاعد والموقد ..

ملحمة شيطانية مُرعبة ، أصابتهما بفرع رهيب ، تسبب في
النهاية في حادث سيّارة ، كاد يُودي بهما ، لولا أن نجتا من
الموت بأعجوبة ..

وأقع الدكتور (حجازى) (نور) ، بضرورة اللجوء
إلى وسيط روحانى شهير ، وخير فوق طبيعيات ، لعمل
جلسة من جلسات تحضير الأرواح ، لبحث سبب ما يحدث
حولهم ..

ومع الجلسة ، بدت ملحمة رُغب جديدة ..

انهار الدكتور (عبد الجليل) ، الوسيط الأشهر ، وبرزت
أيدي مخيفة من أرض المنزل ، تعصر كل من توقع به ، ثم هاجم
المنزل منخ مخيف .. كيان أسود هائل ، ابتلع الدكتور
(عبد الجليل) ، هاجم (نور) والدكتور (حجازى) ،
حتى قتله (نور) ، فراح ينكمش ، وينكمش ، وينكمش ..
وهنا سقط (نور) والدكتور (حجازى) في كهف
غامض رهيب ، أسفل منزل (نور) ..
كهف لم يكن له وجود من قبل ..

كهف شيطانى ..

كل هذا قبل أن يعلم الجميع من هو عدوهم ..

وكان عدوا رهيبا هذه المرة ..

وزد اسمه قديما في الأساطير ..

أساطير الرعب ..

كان عدوا نصف بشرى ، ونصف شيطان ..

كان ابنه ..

ابن الشيطان ..

وفي هذه المرة كان له حليف بشرى

صحفى مُرثش ، يدعى (صفوت) ..

وفي تلك اللحظة ، كان الشيطان منتصرا إلى أقصى حد ..

سجن (نور) والدكتور (حجازى) في أحد كهوفه ..

ودفع بعضا من دمه في جسمه (نشوى) ، ابنة (نور)

و (سلوى) ، بواسطة معاونه البشرى (صفوت) (*) ..

لقد هزم الجميع في هذه الجولة ..

(*) المزيد من التفاصيل ، راجع الجزء الأول (ابن الشيطان) ..

الغامرة رقم (٧٢) .

٢ - الوهم القاتل ..

اتمعت دموع اليأس في عين الدكتور (حجازى) ، وهو
يدير عينيه في أرجاء الكهف الضخم ، قبل أن يغمغم في لهجة
أقرب إلى الانهيار :

— ما كان لنا أن نتحدى تلك القوى الرهيبة يا (نور) ..
لقد خطمنا غرورنا البشرى .

غمغم (نور) في خنق :

— رُوَيْدِكَ يَا سَيِّدِي .. إِنَّا لَمْ نَتَحَطَّمْ بَعْدُ .

لَوَّحَ الدكتور (حجازى) يديه في يأس ، وهو يقول :

— كيف يا ولدي ؟ .. إِنَّا دَاخِلُ كَهْفٍ غَامِضٍ مَجْهُولٍ
مُخِيفٍ ، لَانْدَرِي كَيْفَ وَصَلْنَا إِلَيْهِ ، وَلَا كَيْفَ نَشَأُ هُنَا ،
وَمَا رَأَيْنَاهُ اللَّيْلَةَ يُؤَكِّدُ أَنَّ نَوَاجِهُ قُوَّةٌ رَهِيْبَةٌ ، لَا قِبَلَ لَنَا بِهَا ..
قُوَّةٌ يُمْكِنُهَا أَنْ تَحَطَّمْ كُلَّ قَوَانِينِ الطَّبِيعَةِ .

هَبَّ (نور) واقفاً ، وهو يقول في جدَّة :

— مُحَالٌ يَا دَكْتُورَ (حَجَازِي) .

سَأَلَهُ الطَّبِيبُ الشَّرْعِيَّ لِي دَهْشَةً :

هزّمهم حقًا ..

وانتصر هو على حفيد (أوزيريس) ..

على (نور) ..

آخر من يحمل دم الإله الفرعونى ..

وفي تلك المرحلة من الصراع ، انطلقت ضحكة عالية
مُجَلِّجَةٌ ..

ضحكة الشيطان ..



— ما المُحال يا ولدي ؟

هتف (نور) في انفعال :

— الله (سبحانه وتعالى) وحده القادر على تحطيم قوانين الطبيعة .

تمم الدكتور (حجازي) :

— إنه مجرد مصطلح دارج يا ولدي ، فأنا أعلم مثلك أن ما نطلق عليه اسم تحطيم القوانين ، ما هو إلا قانون جديد كنا نجهله ، ويصرّ على أن يسفر عن وجهه ، في لحظة بعينها .

هتف (نور) في انفعال متزايد :

— صدقت يا دكتور (حجازي) .. كل ما يبدو لنا خارقاً للمألوف ، هو في الواقع أمر منطقي ، ولكننا نجهل قواعد منطقيته .. راجع معي مثلاً ما حدث ، وستجد عشرات اللامنطقيّات .. لقد هاجمتنا تلك الأيدي المروّعة ، وكادت تفتك بنا جميعاً ، ثم فجأة تلاشى كل شيء ، وعاد بنا الزمن إلى نقطة البداية ، وبعدها هاجمنا كيان أسود مخيف ، وابتلع الدكتور (عبد الجليل) دفعة واحدة ، بكل جسده ، وعلى الرغم من ذلك ، فقد انكمش إلى ما يقرب من حجم كرة صغيرة ، عندما قتلته ، فأين بالله عليك ذهبت جثة الدكتور (عبد الجليل) ؟

غمغم الدكتور (حجازي) في خيرة :

— ربّما كان ذلك الكيان المخيف ، يمتلك القدرة على

امتصاص الغذاء ، بسرعة هائلة ، مثل ال.....

قاطعه (نور) في حدة :

— مثل ماذا يا دكتور (حجازي) ؟ .. إنه لم يستغرق

سوى لحظات ، ما بين ابتلاع جسد الدكتور (عبد الجليل) ، وتحوّله إلى كرة صغيرة .. وهذا ينافي كل قواعد العلم والمنطق .

بتر عبارته بترًا جزئيًا لتألق عيناه ، وهو يستطرد في حزم .

— مالم ...

كانت تلك الكلمة الصغيرة ~~التي~~ الأحراف الأربعة ،

كافية لأن يقفز الدكتور (حجازي) من مكانه في لطفة ، هاتفاً :

— مالم ماذا يا (نور) ؟ .. هل توصلت إلى شيء ؟ .. هل

استنتجت أمراً يتعلق بما يحدث ؟

أجابه (نور) هو حزم :

— ليس استنتاجاً يا دكتور (حجازي) وإنما هو تخمين ..

إنني أظن أن كل ما يحدث ~~هو~~ لنا مجرد وهم .

تراجع الدكتور (حجازى) فى دهشة ، وهتف فى لهجة
تحمل الخيرة والاستكار ، وخيبة الأمل معاً :

— وَهْم !؟ .. كل هذا مجرد وَهْم يا (نور) ؟

صرخ (نور) فى غُف :

— نعم .. وَهْم .. وَهْم .. وَهْم ..

حالت منه التفاته إلى الدكتور (حجازى) ، وهو يهتف
بتلك الكلمات ، فألفاءه جاحظ العينين ، شاحب الوجه ، زائغ
البصر ، يتطلع إلى مكان ما خلفه هو ، وهو يقول فى صوت
ارتجفت حروفه ، وامتعت ، حتى كادت تندمج بعضها
ببعض ، فى جملة مُبهمة :

— إذن فهو أبشع وَهْم واجهته فى حياتى يا (نور) .

اخترقت عبارته صدر (نور) كخنجر حاد ، ودفعته دفقاً
إلى الالتفات ، إلى حيث يحدق الدكتور (حجازى) ، بكل هذا
الرُعب ..

وعندما فعل ، غاص قلبه بين قدميه ، واتسعت عيناه فى

رُعب هائل ، وامتقع وجهه على نحو مُفزع ..

لقد كان يتطلع مباشرة إلى صورة مجسمة للرُعب ..

بل هو الرُعب ..

الرُعب ذاته ..

* * *

وقفت (سلوى) خلف زجاج حجرة العناية المركزة ، فى
مستشفى (القاهرة) المركزى ، تتطلع إلى ابنتها الفاقدة
الوغمى ، والدموع تنحدر على وجنتيها كقطرات من الحُمم ،
واقترب منها رئيس أقسام الطوارئ ، وهو يغمغم فى تعاطف :
— سَشفى يا سيّدتى .. صدّقينى .. سَشفى حتماً باذن
الله .

أومات برأسها موافقة ، وغمغمت :

— أعلم ذلك يا سيّدتى ، فلقد قضيت انا وروجى
ما يقرب من عامين ، فى غيبوبة مماثلة ، قبل أن نستعيد نشاطنا
تماماً بفتة ، ولكننى أشفق على ابنتى من أن تخوض تجربة
مماثلة (*) .

تطلع لحظات إلى وجهها الشاب فى خيرة ، ثم غمغم :

(*) راجع قصة (الكابوس) .. المفامرة رقم (٦١) .

— أخبريني يا سيدي .. أليس من العجيب أن تنجب شابة
مثلك ، فتاة ناضجة مثلها ؟

غمغمت في حزن :

— إن هذا نتاج تجربة رهيبه أخرى ، جعلت ابنتي تنضج
بصورة صناعية ، متخطية عوامل الزمن يا سيدي (*) .

تطلع إليها في دهشة ، وهو يغمغم :

— يا إلهي !.. أي أسرة منكوبة أنتم ؟ هذا أسوأ حظ
قابلته في حياتي !!

تمتمت في ألم :

— ليست مسألة حظ يا سيدي .. إنه عملنا .

هتف في دهشة :

— عملكم !؟

أومات برأسها إيجاباً ، وغمغمت :

— نعم .. إننا نعمل لحساب المختبرات العلمية .

هتف في دهشة :

— أنتم !؟

ثم ضرب جبهته بكفه ، مستطرذاً في انفعال :

(*) راجع قصة (سادة الأعماق) .. المغامرة رقم (٦٢)

— يا إلهي !! كيف لم يخطر هذا ببالي ؟!.. لقد تذكرت الآن
أين رأيت وجهك يا سيدي .. لقد كان ذلك في (أبناء
الفيديو) ، على شاشة الهولوفيزيون ، عندما

بتر عبارته بغتة ، وهو يهتف :

— يا إلهي !!

التفتت إليه (سلوى) ، ورأته يحدق في شيء ما ، داخل
حجرة العناية المركزة ، فصاحت في ارتياح :

— ماذا حدث ؟.. ماذا أصاب ابنتي ؟

هتف ، وهو يشير إلى أحد الأجهزة العديدة ، التي تزدهم
بها الحجرة :

— انظري إلى رسام المخ الإلكتروني . إنه يشير إلى
حدوث نشاط رهيب .. نشاط عقلي فائق .. يفوق حتى

نشاط مخ طبيعي .

هتفت في ذعر :

— وما الذي يعنيه هذا ؟

تراجع في حركة حادة ، وهتف في رعب ، وهو يحدق
داخل الحجرة :

— يعني هذا



رأت ابنتها تنهض جالسة على فراشها ..
ومن عينيها أطلَّ شرُّ الدنيا كلها ..

استدارت إلى داخل الحجرة ، ورأت ما يغيبه ..
رأت ابنتها تنهض جالسة على فراشها ..
ومن عينيها أطلَّ شرُّ الدنيا كلها ..
ولحظتها شعرت (سلوى) بالخوف ..
الخوف على ابنتها ..
ومنها ..



٣ - كل الرُّعب ..

كان ذلك المخلوق ، الذى يقف أمام (نور) والدكتور (حجازى) هو الرُّعب نفسه ، وقد تشكّل فى صورة ماديّة .. كان عبارة عن وجه شبه وحش ، من أبشع ما رآه الاثنان .. وجه له عين واحدة ، فى منتصفه تمامًا .. عين حمراء .. قانية .. مخيفة ..

وحولها عدد من الأفواه ، ذات الأنياب الحادة البارزة ، التى تسيل منها الدماء ، وكأنما انتهى كل منها من التهام فريسته على التو ..

وهذا الوجه يقف على عشرة أرجل ، كعنكبوت بشع رهيب ..

وفى وحشية وشراسة ، راحت العين الحمراء الرهيبية تحدق فى وجهى ضحيتها ، وراحت الأفواه تفتح وتغلق ، والأنياب الحادة تتصادم وتضطك ، فيصدر عنها صوت كصليل السيوف ، وقرع الأجراس ..

وتراجع (نور) والدكتور (حجازى) فى رُعب ،
والأخير يردّد فى ارتياح :

— لقد انتقلنا إلى الجحيم .. لقد فعلنا حتمًا .. ليس هذا
الشيء من مخلوقات الأرض .
هتف (نور) فى ثورة :

— متى ينتهى هذا الجحيم ؟ .. متى ..؟

ردّدت الجدران صدى هتافه ، فى إيقاع هابط ، زاد من
هول الموقف ، وخاصة عندما جاوبه ذلك الوجه بصيحة من
صيحاته ..

كانت صيحته أشبه بأنين آلاف المعدّبين ، وتواج مئات
الثكالى ..

كانت لحة من الجحيم بحق ..

وارتجف جسدا (نور) والدكتور (حجازى) ، وامتلأت
نفساهما برُعب لا حدود له ، على حين تحرّكت الأقدام العشرة
فى بطاء ، ليتجه ذلك المخلوق نحوهما ، وأنيا به تباعد وتمتد إلى
كموت يهّم باقتناص ضحية جديدة .

وهنا انتزع (نور) نفسه من رغبته انتزاعًا ، وانتزع مسدّسه
الليزرى ، وصرخ فى إصرار وعناد :

نهضت (نشوى) من رقادها ، وعيناها تتألقان ببريق
مخيف ..

بريق شيطاني ..

وفى بطاء ، أدارت عينيها إلى تلك الأجهزة الإلكترونية
الحديثة ، التي تحيط بها ..
ثم صرخت ..

وارتجفت (سلوى) فى رُعب ، وهبط قلبها بين قدميها ،
وتمزقت نفسها بين فزع ومرارة وحزن ، عندما اخترقت
صرخة ابنتها أذنيها ..

كانت صرخة مخيفة ، أشبه بزئير عشرات الأسود
الغاضبة ..

وفجأة ، انتزعت (نشوى) كل الأنايب الطبية المتصلة
بجسدها فى عُنف ، ثم هبت واقفة ، فراجع رئيس أقسام
الطوارئ ، وهو يهتف :

— أسرعوا .. لقد عاودتها التوبة .. أسرعوا .

اندفع خمسة من المرضين نحو الحجرة ، فى نفس اللحظة
التي اقتربت فيها (نشوى) من باب الحجرة الزجاجي
السميك ، و (سلوى) تهتف فى ارتياح :

— فلتر أوهم أنت أم حقيقة ؟

وانطلقت أشعة مسدسه تشق فراغ الكهف ، وترتطم
بالمخلوق المخيف ، ثم ترتد عنه إلى الجدران ، فتحطم
الصخور ، وتثير الرمال ..

وأطلق (نور) الأشعة مرّة ، ومرّة .. وثالثة ..
وفى كل مرّة يحدث الشيء نفسه .

تنعكس الأشعة ، ويبقى المخلوق سليماً ..

والتصق الدكتور (حجازى) بالحائط ، وهو يهتف فى
هلع :

— وهما كان أم حقيقة .. لقد عجز سلاحك عن صدّه
يا (نور) .

أجابه (نور) بهتاف مرتجف :

— يا إلهي !! ..

وأمام عينيه المتاعتين ، رأى المخلوق المخيف يحاصر الدكتور
(حجازى) بين بُروزين صخريّين ويفتح أفواهه كلها ، ويُبرز
منها مئات الأنياب ..

كان يهّم بالتهام فريسة جديدة ..
فريسة بشرية ..

— ماذا أصابها ؟ .. ماذا حدث ؟
اختلطت حروف كلمتها الأخيرة مع صوت تحطم الباب
الزجاجي السميك ، إثر لكمة هائلة من كف (نشوى)
الرقيقة ..

لم يتم المسكين عبارته ؛ لأن قبضتها هوت على فكّه ،
فحطمته تحطيمًا ، وسقط الرجل غارقًا في دمايته ، وقد
انشطرت فكّه إلى شطرين ..

وتراجع المرضون الخمسة في خوف وهلع ..
لقد كان ذلك الزجاج السميك ، الذي حطّمته
(نشوى) بلكمة واحدة ، من نوع غير قابل للكسر ..
من نوع تفجّز حتى رصاصات القرن العشرين عن
تحطيمه ..

وصرخت (سلوى) في ألم وعذاب :
— مستحيل !.. مستحيل !..
دفعت صرختها (نشوى) إلى أن تلتفت إليها ..
والتقت عيناهما ..
واتسعت عينا (سلوى) في ارتياح ..
ليست هذه عيني ابنتي ..
صحيح أنهما تشبهان عينيها ..
ولكنهما ليستا هما ..
هاتان العينان تحملان شرّ الدنيا كلها ، وشراستها
ووحشيتها ..

وصرخت (سلوى) في رُعب وارتياح :
— أنقذوها .. أنقذوا ابنتي .. أرجوكم .
هتف أحد المرضين الخمسة في ذُفول واستكثار :
— ننقذها !؟ ..

إنهما عينا شيطان ..
والتصق الجميع بالحائط في رُغب ، على حين التفتت
(نشوى) بجسدها كله إلى أمها ، ثم اتجهت إليها في وحشية
مخيفة ..
وفجأة ، أمسكت (نشوى) عُنق أمها ، وضمت قبضتها
في عُنف وشراسة ..

وهتف آخر في دُغر :
— المهم هو أن ننقذ أنفسنا منها .
قال هذا وهو يغلدو مبتعدًا ، على حين حاول زميل له أن
يقترّب من (نشوى) ، وهو يقول في توثر :
— مهلاً يا أنسة .. مهلاً .. لم لا نتحدث على نحو منطقي ،
أو

واتسعت عينا (سلوى) في رُعب هائل ، ومرارة لا حصر لها ..

إنها تواجه الموت ..

الموت في قبضة أحب مخلوقات الدنيا إليها ..

في قبضة ابتها ..

شُحِب وجه الدكتور (حجازى) في شِدَّة ، حتى صار أشدَّ امتقاغا من وجوه تلك الجثث ، التي يعكف على فحصها طيلة الوقت ، والمخلوق الخفيف يحاصره تماما ، ويتأهب لالتهامه بلا رحمة ..

وانهار الدكتور (حجازى) ، وهو يهتف :

— إنها النهاية يا (نور) .. لم أكن أتوقعها على هذا النحو

البشع ، ولكنه قدرى ..

الوداع يا (نور) .. الوداع يا ولدى .

اتسعت عينا (نور) في خوف وبأس هائلين ، ثم لم يلبث يأمله أن تنحى جانبا ، وتلاشت نظرة الخوف من عينيه ، وحلَّت محلها نظرة عناد وإصرار هائلة ، وانعقد حاجباه في غضب ، وهو يهتف بصوت قوى ، ارتجَّت له جدران المكان كله :

— كلاً .

وبلا سلاح ، اندفع نحو المخلوق المرعب ، وبقفزة واحدة

اعتلى جسده ..

لقد بدأ (نور) صراغا رهيبا ..

صراغا شيطانيا ..



٤ - الانهيار ..

كان الموت يطلُّ شامتًا من قبضة (نشوى) ، وهي بهم
بقتل أمها ..

وكانت الوحشية تطلُّ من عينيها ..

أتى شيطان هذا ، الذي فعل بها ذلك ؟ ..

أتى شرّ هذا ، الذي يدفع ابنة إلى قتل أمها ؟ ..

ومن العجيب أن (سلوى) لم تشعر بالخوف ، وهي
تواجه الموت ، على يد ابنتها ..

كل ما شعرت به هو الألم والحزن والمرارة ..

ومن عيني الأم ، سالت دموع ساخنة ..

دموع انحدرت على وجنتيها الشاحبتين ، لتحفر فيهما نهريين
من حُصم الأمومة ..

وفي استسلام كامل ، تطلَّعت (سلوى) إلى عيني ابنتها ،
تنتظر الموت القادم إليها كالصاعقة ..

ولكن المعجزة حدثت فجأة ..



وبلا سلاح ، اندفع نحو المخلوق المرعب ، وبقفزة واحدة اعتل جسده ..

معجزة إلهية عجيبة ..

معجزة من معجزات الخالق (عز وجل) ...

فجأة ، لانت القبضة المضمومة ..

وتراخت الأصابع ..

وتلاش الشر من النظرات ..

ومن عيني (نشوى) ، أطل عذاب عميق ، لم يلبث أن

تحول إلى خيرة ودهشة ..

وفي بطاء امتدت تلك الأصابع ، التي كانت تستعد

للقتل ، لمسح دموع (سلوى) ..

وهفت (نشوى) في خيرة وإعياء :

— أمأه !! ..

لقد غسلت دموع الأم روح الشر ..

غسلتها من نفس ابتها ..

وتلاشى الشيطان من نفس (نشوى) ..

ثم انهارت فجأة ..

عادت إلى غيبوتها العميقة ..

إلى عالم اللاوعي ..

جاءت انقضاضة (نور) على المخلوق البشع مباغته ، حتى

أن جسده قد ارتطم بالصخور ، ثم انقلب على ظهره ،

كعكبوت بشع ، أصابته ركلة من قدم غاضبة ..

وسقط (نور) وسط الأرجل العشر ، وراح يلکم المخلوق

في أنحاء جسده ، صائحاً في غضب :

— لن تهزمننا .. لن تهزمننا أبداً ..

وراح المخلوق يقاتل في شراسة ، وهو منقلب على ظهره ،

وأرجله العشر تركزل (نور) ، وتدفعه في وحشية ، وأفواهه

كلها تحاول الإطباق على أى جزء من جسد (نور) ، في حين

بقى الدكتور (حجازى) ملتصقاً بالجدار ، جاحظ العينين في

رُغب ، ذاهلاً .. مشدوهاً ..

ولكن انقضاضة (نور) راحت تغلغل في أعماقه في بطاء ..

لقد جازف (نور) بحياته من أجله ..

من أجل إنقاذه ..

لقد واجه الموت لينقذه منه ..

وانترعت تلك الفكرة ذُهوله وخوفه ..

هو أيضاً امتلاً بالغضب والصرامة ..

وفي حركة حادة ، انتزع من جيب سترته مبضغاً كبيراً ،

من تلك المباحث التي يستخدمها لتشرح الجثث ..

وبصرخة صارمة، قفز بدوره نحو المخلوق، وغاص نصل
مبضعه في عينه الواحدة الضخمة ..

وانطلقت صرخة المخلوق كالأنين والتوابع ..
صرخة رهيبه هائلة ..

وتفجرت عينه المخيفة كقنبلة مكتومة، واندفعت منها
الدماء في عنف، وراحت الأرجل العشر تتراقص في تشنج
عنيف بعض الوقت، والدماء تسيل من العين المفقوءة في غزارة
مخيفة ..

ثم انتهى كل شيء ..

سكن المخلوق الخيف، وانتهى وسط بركة رهيبه من
الدماء ..
ونفض (نور) مشدوها، يحدق في الجسم الراقد أمامه،
مغمغماً :

— لقد أفلح المبضع فيما فشلت فيه أشعة الليزر .

غمغم الدكتور (حجازي) :

— تذكر أن أشعة الليزر تعجز عن تحطيم مرآة، فتعكس
عنها، دون أن تصيبها بأذى ضرر، على حين يصنع حجر صغير
ذلك، وبكل كفاءة .

تنهّد (نور)، وأوما برأسه مغمغماً :
— صدقت .

وران عليهما الصمت لحظات، وكأنما يسعى كل منهما
لالتقاط أنفاسه، قبل أن يغمغم (نور) في هدوء، بدا عجباً
في تلك اللحظة، وفي ظل هذه الظروف :

— أتعلم ما الذي يربكني حتى الآن يا دكتور (حجازي)؟
سأله الدكتور (حجازي) دون أن يلتفت إليه :
— ماذا ؟

تنهّد (نور) مرة أخرى، وقال :

— إنني أجهل - حتى الآن - من أحارب .. أو ماذا أحارب .
غمغم الدكتور (حجازي) في خيرة :
— تحارب !؟

قال (نور)، وقد بدأت حدة عصيئة تنمو في صوته :

— نعم .. ما زلت أجهل حتى الآن، من عدوي ..

أجابه الدكتور (حجازي) في تردّد :

— إنها الأرواح الشريرة يا (نور) .

صاح في خنق مباغت :

— أية أرواح شريرة !؟ .. منذ متى تفعل الأرواح الشريرة

— ربّاه؟! .. هل ستلقى خزانة الطاقة على جدران الكهف؟

أجابه (نور) في حِدّة :

— نعم .. سأفعل .. هذا هو سبيلنا الوحيد .

صرخ الدكتور (حجازى) في رُعب :

— وماذا لو انهار المكان على رؤوسنا؟

صرخ (نور) :

— وماذا لو أن نجاتنا تكمن خلفه؟

وفى حزم ألقى خزانة الطاقة على الجدار ، وارتجّ المكان

كله بصوت انفجار قوى .

انفجار رهيب ..



ذلك؟! .. إن أقصى ما بلغنا عنها ، هو أنها تُشعل النار في الأثاثات ، أو تنقل الأشياء من مواضعها ، ولكن ما يحدث هنا يفوق كل ذلك ..

ثم قلب كفيه ، وهو يستطرد ساخطاً :

— ولا يتبع أية قوانين .

شعر الدكتور (حجازى) بالقلق ، وخشى أن يصاب

(نور) بانهيار عصبى ، فغمغم محاولاً تهدئته :

— رُوَيْدِكَ يا (نور) .. رُوَيْدِكَ يا ولدى .. العالم لم ينته

بَعْد .. من يَدْرِى؟! .. ربّما

قاطعته (نور) هاتفاً :

— ربما أمكننا الخروج من هنا .. وربما بقينا إلى الأبد ..

نعم .. مَنْ يَدْرِى؟

وفى غضب ، انتزع خزانة الطاقة ، من مؤخرة مسدسه

الليزرى ، فهتف به الدكتور (حجازى) في دُغر :

— ماذا ستفعل؟

هتف (نور) في حزم غاضب :

— سأحسم الأمر .

هَبَّ الدكتور (حجازى) واقفاً ، وهو يهتف مدعوراً :

٥ - العدو ..

تصاعدت درجة حرارة تلك الحجر ، التي يجلس فيها
(صفوت) ، مع سيده (ابن الشيطان) ، حتى بدت أشبه
بيورة من الجحيم ، وراح (صفوت) يتصبّب عرقاً في شدّة ،
وهو يغمغم في خوف :

— سيدي .. سيشتعل المكان ياسيدي .. أرجوك .

فتح (ابن الشيطان) عينيه بغتة ، وحدّق في وجه
(صفوت) بعينه الناريّتين في غضب ، وهو يقول :

— يشتعل !؟

تراجع (صفوت) في خوف ودهشة ، ولاحظ كيف أن
حرارة الحجر راحت تنخفض تدريجياً ، وهو يتمم :

— معذرة ياسيدي .. ولكنك كنت ترتجف ، غائباً عن

الشعور تماماً ، وكانت درجة الحرارة ترتفع ، و

لم يستطع إكمال عبارته ، وهو يتطلّع إلى العينين الناريّتين ،
غير البشريّتين ، وراح العرق يتصبّب على وجهه غزيراً ، على

الرغم من أن درجة حرارة الحجر كانت قد انخفضت إلى
أقصى حدّ ، فانهارت عيناه أرضاً ، وهو يتمم :

— الرّحمة ياسيدي !! الرّحمة !!

أتاه صوت (ابن الشيطان) ، وهو يغمغم في لهجة تجمع
ما بين السّخرية والدهشة والاستنكار :

— الرّحمة !؟

ثم انطلقت في المكان ضحكة رهيبية ، بدت وكأنها قادمة من
أعماق الجحيم ، وهبّ (ابن الشيطان) واقفاً ، فبدأ كإرد
هائل ضخم ، وهو يستطرد في قسوة :

— قاموسى لا يحوى هذه الكلمة أيها الإنسى ، فلا تنطق
بها أبداً .

هتفت (صفوت) في ارتياح :

— لن أفعل ياسيدي .. أقسم لك .. أقسم لك .

قال (ابن الشيطان) في صوت جهورى رهيب :

— أعلم أنك لن تفعل .

ثم تحرك في خطوات قويّة نحو حجرة جانبية ، وقال دون أن

يلتفت إلى (صفوت) :

— لا تدخل إلى هذه الحجر .



وبرقت عيناه ، وهو يستطرد في شراسة رهية :
— مهما كانت الأسباب ..

وبرقت عيناه ، وهو يستطرد في شراسة رهية :
— مهما كانت الأسباب .

وأوصد الباب خلفه في قوة ، تاركًا (صفوت) يرتعد
خوفًا ، قبل أن تهدأ نفسه تدريجيًا ، ويغمغم في توثر :
— لماذا أطيعه ؟ .. لماذا ؟

أجاب الشيطان الرابض في أعماقه :
— لأنه الأقوى ، ولأنه وعدك بأن يمنحك شركة أبناء
الفيديو كلها .

برقت عيناه في شراسة ، وهو يغمغم في شراسة وطمع :
— نعم .. لأنه سيمنحني القوة والمال .
ثم صبّ لنفسه كأسًا من الخمر ، رفعها عاليًا ، وهو يهتف
في نشوة :

— نخب الشيطان الابن .
وجرّع كأسه دفعة واحدة ..
وارتوى شيطان الشرّ في أعماق أعماقه ..

أرقد الممرضون (نشوى) على سريرها ، في حجرة العناية
المركزة ، وراح رئيس الأقسام يطمئن على انتظام نبضها

بنفسه ، قبل أن يتهد في عمق ، ويلتفت إلى أمها ، قائلاً
بابتسامة باهتة :

— لقد صنعت دموعك معجزة ياسيدتي .. لقد أنقذت
الجميع .

تمتتم (سلوى) في حزن :

— فيما عدا ذلك المسكين ، الذي تحطم فكُّه ، وأصيب
نحبه بالارتجاج .

غمغم رئيس الأقسام في اقتضاب حازم :

— سيشفى بإذن الله .

وقاد (سلوى) إلى الخارج ، مستطرذاً في قلق :

— ولكن دم ابتك ما زال يحوى تلك الأجسام الغريبة ،
وبنفس النسبة .

سألته في اهتمام :

— ألم تتوصلوا إلى معرفة كنهها بعد ؟

هز رأسه نفيًا ، وهو يقول :

— كلاً للأسف .. لقد خيّرنا أمرها جدًّا ، فهي ليست
بميكروبات ، أو فيروسات .. إنها أجسام خاملة تمامًا ،
لا تتفاعل مع أى وسط حتى ، حاولنا زرعها فيه ، أو أى وسط
كيميائى آخر ، ومن المفروض أن يعنى ذلك عدم ضررها تمامًا ،

ولكن ذلك غير صحيح ، فهاهى ذى تاتى أفعالاً محيضة ،
يشيب لهاؤها الولدان ، في جسد ابتك .

غمغمت في ارتياح :

— يا إلهى !!

ثم انحدرت من عينيها دموع ساخنة ، فطلّعت إليها الطيب في
إشفاق ، وسألها في تردّد :

— ألسنت عضواً في فريق للمخبرات العلمية ؟

أومأت برأسها إيجابًا ، فعاد يسألها :

— أين باقى الفريق إذن ؟ .. لِمَ لا يتعاونون معك ومعنا ،

للبحث عن خلاص لابنتك من هذا ؟

زفرت في مرارة ، وهى تقول :

— لا يوجد فريق الآن .. لقد أصيب نصفه في مغامرة

سابقة (*) ، ولم يعد هناك سوى ، وسوى زوجى فقط .

سألها في دهشة :

— أليست ابتك

أجابته قبل أن يتم سؤاله :

— كلاً .. ليست ضمن الفريق .

(*) راجع قصة (الستار الأسود) .. المغامرة رقم (٧٠) .

وزفرت مرة أخرى في مرارة وألم ، قبل أن تستطرد :
— إنها فقط ضحية .. ضحيته للمرة الثانية .

انفجرت خزانة الطاقة الصغيرة ، الخاصة بمسدس
(نور) ، في جدار الكهف ، وارتج المكان في قوة ، وبدا
لحظة أنه سينهار على رأس (نور) والدكتور (حجازي) ،
اللذين راحا يتغلان في قوة ، بسبب سحابة الغبار الكثيفة ،
التي تولدت عن الانفجار ، قبل أن يخفق قلباهما في هفة
وأمل ، وقد سقط ضوء قوى على وجهيهما ..

وهتف الدكتور (حجازي) في فرحة غامرة ، وهو يتطلع
إلى تلك الرذمة الأنيقة ، التي بدت من خلف فجوة في جدار
الكهف :

— منزلك يا (نور) .. إنه منزلك .

دفعه (نور) أمامه ، وهو يهتف :

— نعم .. إنه هو .

لم يصدقا نفسيهما ، عندما عبّرا الفجوة ، ووقفا وسط
رذمة منزل (نور) ، وصاح الدكتور (حجازي) في
سعادة :

— لقد نجونا يا (نور) .. لقد نجونا ..
غمغم (نور) :

— نعم .. لو أنك تقصد إضافة كلمة (مرحليًا) ، فأنا
أوافقك .

تصلب جسداهما بغتة ، عندما انبعث من خلفهما صرير
قوي ، وهتف الدكتور (حجازي) في دُغر :
— ربّاه !! ليس ثانية .

التفتا في آن واحد ، نحو الفجوة التي أتيا منها ، ثم تراجعا في
دهشة ..

لم تكن هناك فجوة ..

لم يكن هناك شيء ..

فقط جدار رذمة (نور) ، بأناقته ، وطلاته المعهود ،
ومصباحيه الفسفوريين ..

وكأنما لم يكن هناك سواه ..

لا كهف .. لا خوف ، لا وهم ..

وهتف الدكتور (حجازي) مذهولًا :

— مستحيل !!.. لقد عبّرنا الفجوة تواقًا .

غمغم (نور) في توثر بالغ :

— أو أننا لم نتقل من مكاننا، وأن كل هذا كان مجرد وهم.

نفض الدكتور (حجازى) الغبار الكثيف عن ثيابه، وهو

يهتف:

— وهم؟! وماذا عن غبار الجحيم هذا؟

نفض (نور) الغبار عن ثيابه بدوِّره، وهو يقول فى

خيرة:

— نعم.. هذا الغبار حقيقى.

وتطلَّع إلى الجدار مرَّة أخرى فى دهشة، ثم اتجه إليه فى

حزم، وراح يدقُّ عليه بقبضته فى قوَّة، قبل أن يتراجع مرَّة

أخرى، هاتفاً فى خيرة أشد:

— إنه مُصنَّمت تماماً.. لا توجد آية تتجاوزى.

صرخ الدكتور (حجازى) فى جدَّة:

— من أين أتينا إذن؟

تلَّفت (نور) حوله، وهو يقول:

— بل قل كيف أتينا؟

توقَّف بصره بفتحة عند نقطة ما، وارتجف صوته من فرط

الانفعال، وهو يستطرد:

— أهذا أيضاً وهم؟

أدار الدكتور (حجازى) عينيه إلى حيث ينظر (نور)،

وارتفع حاجباه فى ارتياح، وهو يهتف:

— يا إلهى!!... الدكتور (عبد الجليل)؟

كانت جثة الوسيط الرُّوحانى الأشهر مُلقاة أمام باب

المطبخ، كاملة، فى نفس الموضع الذى ترك فيه الاثنان تلك

الكرة البشعة، التى تخلَّفت عن الكيان الأسود الرَّهيب،

الذى ابتلع الدكتور (عبد الجليل) أمام عيونهما..

وبلا تفكير، اندفع الاثنان نحو جثة العالم المسكين، الذى

بدا شاحب الوجه فى شدَّة، وانحنى الدكتور (حجازى)

يلصق أذنه بصدر الجثة، قبل أن يعتدل، ويتطلَّع إلى عيني

الجثة الجاحظتين، مغمغماً فى سُخوب:

— لقد لقي مصرعه.

هتف (نور) فى توثر:

— ليس هذا ما يُدهشنى، وإنما أتساءل: من أين جاء؟..

وأين اختفى من قبل؟..

وتعالى صوته، وهو يصرخ مستطردًا:

— وأى منطق يحكم كل هذا؟

تلَّفت الدكتور (حجازى) حوله فى خوف، وهو يغمغم:

— منطق الرعب .

لُوح (نور) بذراعاه في خنق ، وهو يهتف :

— أتى منطق هذا ؟ .. وما هو ؟ .. أو من هو ذلك العَدُو

الخَفِي ، الذي يستخدم معنا ذلك المنطق ؟ .. ولماذا يفعل ؟ ..
وما هدفه ؟

غمغم الدكتور (حجازي) :

— ربما يهدف إلى إخافتنا فحسب .

صرخ (نور) :

— لماذا ؟ .. إخافتنا ليست هدفه حتمًا .. إنما هي وسيلته

للوصول إلى هدف ما .. وما أسأله هو لماذا ؟ ..

ران عليهما صمت ثقيل ، بعد سؤال (نور) الأخير ،

وبدا ذلك الصمت ، بتناقضه التام مع ثورة (نور) قبل لحظة

واحدة ، أكثر مدعاة للخوف والقلق ، حتى أن الدكتور

(حجازي) وجد نفسه مضطرًا لقطعه ، مغمغبًا :

— أظن أنه هناك وسيلة يا (نور) .

التفت إليه (نور) ، يسأله في لهفة :

— ما هي !؟

تردد الدكتور (حجازي) على نحو واضح . وكأما شعر
بالندم ، على تفوهه بتلك العبارة ، فهتف (نور) يستحبه على
الإجابة :

— ما هي يا دكتور (حجازي) ؟ .. ما هي بالله عليك ؟

تنهد الدكتور (حجازي) في عمق ، وقال :

— أن نلجأ إلى أكبر خبراء ما فوق الطبيعيات في الشرق

الأوسط .. وأن

بتر عبارته بغتة ، وهو يحدق في نقطة ما خلف (نور) في

رُعب هائل ، كادت عيناه تقفز ان له من محجريهما ، فالتفت

(نور) إلى حيث ينظر في جدّة ، ثم تراجع في قفزة واحدة

كالمصعوق ..

لقد كانت جثة الدكتور (عبد الجليل) جالسة ، تحدق

فيهما في هدوء ، وعلى شفيتها ابتسامة شاحبة ..

ابتسامة جثة ..

٦ - المستحيلات ! ..

على عكس الدكتور (حجازى) ، لم يكن الشعور المسيطر على (نور) فى تلك اللحظة ، وهو يحدّق فى تلك الجثة ، التى نهضت واقفة ، هو الخوف .. بل كان الاستكار .. ولقد عبّر عن استكاره هذا فى صوت مسموع ، وهو يقول :

— مستحيل !!... الموتى لا يعودون إلى الحياة أبدا .

غمغم الدكتور (حجازى) فى رُعب :

— هذا ما كنت أومن به ، حتى هذه اللحظة .

هتف (نور) فى عناد :

— مستحيل !!... الله (سبحانه وتعالى) وحده يُخَيِّب

الموتى ، وما من مخلوق يملك أن يفعل ذلك ، دون

مشيئته (سبحانه) ، وما يحدث هنا من شرور ، يتنافى تمامًا مع

المعجزات الإلهية .

كان يقول هذا بكل عناد ، وجثة العالم الروحاني تتحرك نحوه فى ببطء ، وعيناها الباردتان تتركزان على وجهه ، فهتف الدكتور (حجازى) فى دُعر :

— ابتعد يا (نور) .. ابتعد يا ولدى ، قبل أن يظفر بك .
انعقد حاجبا (نور) فى شدّة ، وهو يقول فى عناد :
— مُحال .. إننى لم أفر أبدا من أمام رجل حتى .. فما بالك برجل ميت ؟

وقفت الجثة فى هذه اللحظة ، على قيد خطوات من (نور) ، الذى قال فى جدّة :

— أنت ميت .

مضت لحظة من الصمت ، بدت فيها الحيرة على وجه الجثة ، قبل أن يكرّر (نور) فى صوت قوى :

— أنت ميت .

وهنا غمغمت الجثة فى دهشة :

— أنا ؟!

وفجأة ، تلاشت مظاهر الموت من الجثة ..

فجأة ، عادت إليها كل مظاهر الحياة ..

تورّدت البشرة بالدماء ..

واستعادت العينان بريقهما ..
وتلقت الرجل حوله في خيرة ، ثم استقرت عيناه على وجه
(نور) ، وهو يقول في توثر :
— لماذا قلت إنني ميت ؟!
صاح الدكتور (حجازي) في انفعال جارف :
— إنها معجزة !! .. معجزة بحق !! لقد عاد الرجل إلى
الحياة !!

هتف (نور) في عناد :

— مستحيل يا دكتور (حجازي) !! لا أنبياء هنا .

غمغم الدكتور (عبد الجليل) في خيرة :

— ولكنني حتى بالفعل .

قال (نور) في حزم :

— وهذا لا يحمل سوى تفسير واحد .

سأله في لطفة :

— ما هو ؟

صمت (نور) لحظة ، ثم أجابه في حزم وصرامة :

— أنك لم تُمث منذ البداية .. لم تمت أبدا ..

أغلق (ابن الشيطان) حجرة (صفوت) خلفه في
إحكام ، وبإشارة من يده ، تكوّم أثارها كله في جانب منها ،
وانسدلت عليه ستارة سوداء ، حجبتة عن الأعين تمامًا ..
وبإشارة أخرى تحوّل لون الجدران والسقف والأرض إلى
لون أسود قاتم مخيف ..

وظهرت شمعتان ضخمتا الحجم ، لهما لون أسود داكن ..
وبفرقة من سبّابته وإبهامة ، اشتعلت الشمعتان ، وسط
ذلك المحيط الأسود الرهيب ..

وركع (ابن الشيطان) على ركبتيه ، ورفع كفيه في الهواء ،
هاتفا في صوت عميق مخيف :

— أبتاه .. هأنذا ابنك البار أعود .

برقت نقطة ما في سماء الحجرة ، وبدأت كصواعق
وأعاصير ، تدور في فلك محدود ، على حين ارتفع صوت (ابن
الشيطان) ، وهو يستطرد :

— هأنذا أسمى من أجلك .. من أجل انتقامك .

ارتجّت جدران الحجرة في قوّة ، وراحت ترتجف كأوراق
شجرة ضعيفة ، على مشارف الخريف ، وتحوّل صوت (ابن
الشيطان) إلى هدير قوي ، وهو يتابع :

— سأظفر بحفيد (أوزيريس) .. سأنتصر هذه المرّة ..
وكما قلت أنت : الكون لا يتسع لنا معاً .. إنا هو ، أو أنا ..
تردد صدى كلمة (أنا) في قوّة ، وهبت عاصفة ساخنة ،
التهبت لها الجدران ، والشيطان الصغير يصرخ :
— إنها معركة النهائية يا أبته .. النهائية ..
وفي مقتلته اشتعلت النيران ..
نيران الجحيم ..

« إنني لم أمث بالفعل .. » ..
غمغم الدكتور (عبد الجليل) بهذه العبارة في توثر ، مجيئاً
سؤال (نور) ، ثم زفر في عصبية ، مستطرذاً :
— لقد ابتلعني ذلك الكيان الأسود الخيف حقاً ، ولكنه لم
يكذب يفعل ، حتى سمعت صوتاً أشبه بعظام تتحطم ، ووجدت
نفسى أسبح في فراغ مُظلم رهيب ، حتى أنني قد تساءلت ،
على الرغم من شعوري الشديد بالخوف ، في تلك اللحظات ،
كيف أن هذا الشيء يحوى فراغاً كهذا .. وفجأة شعرت أنني
أتجمّد ، ويحيط بي قالب سميك ، ففقدت وعي ، وأفقت لأجدك
أمامي ، وعندما اتجهت نحوك ، سمعتك تقول إنني ميت ،
فأصابني خوف ودهشة ، وكدت أموت بالفعل ، لولا أن
استعاد جسدي حيوية بغتة .



وركع (ابن الشيطان) على ركبتيه ، ورفع كفيه في الهواء ، هائفاً في
صوت عميق مخيف : أبته .. هاأنذا ابنك البار أعود ..

غمغم (نور) في صوت خفيض :

— وَهَمَّ .

سأله الدكتور (حجازى) في دهشة :

— ماذا تقول ؟

صاح في جِدَّة :

— أقول : وَهَمَّ .. كل هذا مجرد وَهَمَّ .

هتف الدكتور (حجازى) في جِدَّة مماثلة :

— أئى وَهَمَّ هذا يا (نور) ؟ من المستحيل أن نعيش كلنا

وهما واحدا .

قال (نور) في انفعال :

— لماذا ؟! .. ألم نعمل من قبل ؟ .. ألم نعيش وهما واحدا ،

ونحن نرى تلك الأيدي تبرز من الأرض ، وتعتصرنا جميعًا ؟

غمغم الدكتور (عبد الجليل) في عصبية :

— بلى .. لقد حدث هذا ، و

قاطعته رنين التليفيديو ، فضغط (نور) زرَّ الاستماع في

سرعة ، ورأى وجه زوجته الشاحب يبدو على شاشته ، فهتف

في قلق :

— ماذا هناك يا (سلوى) ؟

أجابته بكلمة واحدة ، كانت كافية لأن يرتطم قلبه
بضلوعه ، وتشتعل الدماء في عروقه :

— ابنتا يا (نور) .

ولم يسألها تفسيرًا ..

لم يفعل ؛ لأنه لم يعد هناك ..

لقد انطلق على الفور ..

انطلق إليها ..

« ما الذى أصابها ؟ .. » ..

ألقي (نور) هذا السؤال ، في لهجة تحمل كل قلقه

وتوتره ، ولهفته وخوفه ، فربت رئيس أقسام الطوارئ على

كتفه ، وقال :

— اطمئن يا ولدى .. إنها نائمة الآن .

شرحت له (سلوى) الأمر في كلمات سريعة ، واستمع

هو إليها في توتر ، قبل أن يلتفت إلى رئيس الأقسام ، ويسأله :

— قل لي يا سيدي .. أما من وسيلة لتخليص جسدها من

تلك الأجسام العجيبة .

هزَّ الرجل كتفيه ، وتردَّد لحظة ، ثم أجاب :

— ربما لو استخدمنا الفسيل الكَلْوِي ..

قاطعه (نور) في هفة :

— استخدمه .

تطلّع إليه الرجل في تردّد ، وقال :

— هذا يحتاج إلى بعض الفحوص أوّلاً ، فلا أحد يدري

ما الذي يُمكن أن يصيبها ، لو أن تلك الأجسام تحمل بعض
التأين .

قال (نور) في توثر :

— ابذل أقصى جُهدك .

وانعقد حاجباه في توثر ، وهو يستطرد :

— كما سأفعل أنا .

تطلّع الدكتور (حجازي) إلى (نور) طويلاً في سُكون ،

ثم تراجع في مقعده ، وزفر في قوّة ، وغمغم في توثر واضح :

— أما زلت تصرّ على مواصلة القتال يا (نور) ؟

ابتسم (نور) ابتسامة باهتة ، وقال :

— أتظن ذلك القرار يعود إلّي حقاً يا دكتور (حجازي) ؟

— كلاً .

ثم قلب كفيه ، مستطرداً في توثر :

— ولكن ما الذي يمكنك عمله ؟

أجابه (نور) في حزم .

— قالوا قديماً : « اعرف عدوك » .

تطلّع إليه في ذُغر ، وقال :

— عدوك ؟ .. أتريد معرفته ؟

أوماً (نور) برأسه إيجاباً ، وقال في صرامة :

— نعم .. حتى يمكنني مقاتلته .

وصمت لحظة ، ثم استطرد :

— ولقد ذكرت شيئاً عن كبير الخبراء في هذا المكان .

غمغم الدكتور (حجازي) :

— أتقصد الدكتور (عزيز) ؟

أجابه (نور) في هدوء :

— نعم .. لو أنه يحمل الصفة السابقة .

تنهّد الدكتور (حجازي) في توثر ، وقال :

— حسناً يا (نور) .. سنذهب معاً إلى (عزيز) ، فقد نجد

لديه تفسيراً لما يحدث .

حاول أن يتسم ، إلا أن ابتسامته جاءت أشبه بالبكاء ،

وهو يستطرد :

— أو مزيداً من الغموض .

كان الدكتور (عزيز) هذا يقطن فيلاً عتيقة على مشارف
مدينة (القاهرة) القديمة ، تحيط بها عدة منازل غير مأهولة ،
صدر قرار بإزالتها منذ عشر سنوات تقريباً ، مما منح المنطقة
مظهراً كئيماً ، أشبه بمقبرة قديمة مهجورة ، جعلت الدكتور
(حجازى) يغمغم فى توثر :

— لقد أصبحت تلك الأماكن ثورثنى شعوراً بالرهبة
والخوف .

تمم (نور) :

— لماذا؟!.. لقد هاجمنا الرعب فى منزلى ، وتحت
الأضواء .

أجابه الدكتور (حجازى) ، وهو يتلفت حوله فى قلق :
— هذا صحيح ، ولكن المكان هنا يوحى بعشرات
الخيالات .

ابتسم (نور) ابتسامة باهتة ، وقال وهو يضغط زر جرس
باب الفيلا :

— وماذا تتوقع أن تجد هنا ؟.. هيكلًا عظيمًا ؟

هتف الدكتور (حجازى) معترضًا :

— ليس إلى هذا الحد .. أتظننى ؟...
انقطعت عبارته بفتة ، وغصَّ حلقه بيباق حروفها ،
وتراجع مع (نور) فى حدة ، فالذى فتح لهما باب الفيلا لم
يكن بشرياً ..
كان هيكلًا عظيمًا ..



٧ - الضحیة ..

انعقد حاجبا المشرف على جهاز الغسيل الكلوي ، وهو يتابع تلك النتائج ، التي تراصت أمامه على شاشة الكمبيوتر ، قبل أن يغمغم في حزم :

— مستحيل !

تطلعت إليه (سلوى) في جزع ، وهتفت :

— لماذا؟ .. لماذا مستحيل؟!!

أجابها في لهجة لا تحتمل النقاش :

— دم ابنتك عجيب ياسيدتي .. إنه يحمل تأيئا كهربيا

عنيفا ، حتى أنه ليدهشني كيف أنه لم يصعقها حتى الآن .

هتفت في ذُهور :

— ولكن هذا مستحيل !! .. ما من بشرى يمكنه أن يحيا ،

وهو يحمل مثل هذا الدم في عروقه .

تطلّع إليها في هدوء ، وهو يقول :

— لهذا تفسير واضح ياسيدتي ، يبدو لي منطقيا ، ومُتَّفَقًا

مع كل ما سمعته من أنباء عن ابنتك .

سألته في لهفة :

— ما هو ؟

عقد حاجبيه ، وهو يقول في حزم :

— هو أن ابنتك ليست بشرية ياسيدتي .

اتسعت عيناها في ذُعر ، ولكنها لم تنبس ببنت شفة ، فقد

بدا لها تفسيره ، على الرغم من غرابته ، منطقيا ..

منطقيا تماما ..

اتسعت عينا الدكتور (حجازي) في رُعب وذُهور ،

وهو يحذق في تلك الجمجمة البشرية ، التي تطل من خلف

الباب ، على حين هتف (نور) في عصبية :

— أي فعل شيطاني هذا ؟

انطلق من خلف الباب صوت يهتف في استنكار :

— شيطاني؟!!

ثم اختفت الجمجمة خلف الباب ، وأطل بدلا منها وجه

متفضن ، لمجوز تجاوز الثمانين على الأقل ، راح يتطلع إلى

الوجهين الشاحبين أمامه ، قبل أن يُطلق ضحكة عالية ،

ويقول في نُخبث :



أخرج يده من خلف الباب، وهي تحمل الجمجمة، ثم عاد يُطلق ضحكة عالية..

[م ٥ - ملف المسجل (٧٣) معزوث الجحيم]

— ماذا أصابكما؟.. تبدوان كأنكما قد رأيتما شيئاً .
عقد (نور) حاجبيه في ضيق ، على حين قال الدكتور
(حجازى) فى توثر :

— ولكن ذلك الشيء .. أغنى هذه الجمجمة !!..

عقد العجوز حاجبيه ، وهو يغمغم فى دهشة :

— جمجمة !؟

ثم لم يلبث حاجباه أن ارتفعا وهو يهتف :

— آه !!.. أتغنيان هذه ؟

أخرج يده من خلف الباب ، وهي تحمل الجمجمة ، ثم عاد
يطلق ضحكة عالية ، ويقول :

— إننى لم أنتبه لذلك .. إنها جمجمة أثرية ، تعود إلى القرن
التاسع قبل الميلاد ، لرجل يشاع أنه أبرع سحرة عصره ،
و

بتر عبارته بغتة ، ليشير إلى الدكتور (حجازى) ، قائلاً :
— قُلْ لى : ألسنت الدكتور (محمد حجازى) ، كبير
الأطباء الشرعيين ؟

غمغم الدكتور (حجازى) :

— هو أنا .

تملئت أسارى العجوز ، وهو يهتف :

— كيف حالك يا فتى ؟ .. أراهن أنك لا تذكر متى
التقينا .. لقد كان ذلك في القرن الماضي .. نعم .. في القرن
العشرين .. عندما كنت أنت معيلاً صغيراً ، في قسم الطب
الشرعى بكلية طب (بنها) .. قل : أما زال والدك يصلح
الساعات بنفس المهارة ؟ .. أما زال شقيقك (علاء) يصاب
بتلك الحساسية ؟!

ابتسم الدكتور (حجازى) ، وهو يقول :

— إننى أذكرك بالطبع يا دكتور (عزيز) ، فأنت أستاذى
في علوم ما فوق الطبيعيات ، و

قاطعته العجوز في حماس :

— ادخل أولاً يا ولدى .. ادخل مع صديقك ، وسناقش
كل شيء في الداخل .

أفسح لهما الطريق ، وتبركهما يَدْلفان إلى الداخل ،
والدكتور (حجازى) يقدم له (نور) ، قائلاً :

— أقدم لك الرائد (نور الدين) ، من المخبرات العلمية
المصرية .

التمعت عينا العجوز ، وبدا فيهما بريق ذكاء حاد ، وهو
يتطلع إلى (نور) ، قائلاً :

— المخبرات العلمية ؟! .. يالها من أسماء !! .. في أيامنا لم
تكن هناك مخبرات علمية .. كانت هناك فقط مخبرات
حربية ، ومخبرات عامة ، وكان ذكر اسميهما — حينذاك —
يشير خيال الشباب وحماسهم ، وأذكر أننى كنت أطلع في
شبابى سلسلة عن أعمال المخبرات ، كانوا يطلقون عليها اسم
رجل ال

قاطعته (نور) في حزم :

— سيدى .. إننا نحتاج إلى مشورتك .

ابتسم العجوز في سُخرية ، مغمغماً :

— في المخبرات العلمية ؟!

عقد (نور) حاجبيه ، وهو يقول :

— كلاً .. إننى أحتاج إلى استشارتك بصفة شخصية .

رفع العجوز حاجبيه ، وهو يهتف :

— آه !! .. هذا أفضل .

وبدا اهتمام حقيقى في وجهه ، وهو يستطرد :

— ماذا تريد بالضبط يا ولدى ؟

أخرج (نور) من جيبه تلك الرسالة ، التى تركها له
جَدُّه ، والتى أرشدته إليها روحه ، في رؤيا غامضة ، وقال :

— أريد تفسيرًا لهذا .

تناول العجوز الورقة في بساطة ، وهو يقول :

— أهو رمز ما ؟

هز (نور) رأسه مغمغماً :

— لست أدري .

فضَّ العجوز الورقة ، وتطلَّع إلى رسم القرص المنقوش ،
ثم انعقد حاجباه في شِدَّة ، وامتعق وجهه على نحو ملحوظ ،
وهو يغمغم :

— يا إلهي !! .. رحماك ياربي !!

اتسعت عينا (نور) ، وتبادلت نظرة عفيفة مع الدكتور
(حجازي) ، قبل أن يسأل العجوز في جدَّة :

— ما الذي يعنيه هذا الرَّمز يا سيدي ؟

بدا العجوز شديد الشُّحوب ، وهو يرفع عينيه إليهما ،
وتردَّدت الكلمات على شفثيه لحظات ، قبل أن يتمم بحروف
مرتجفة :

— هذا النقش ليس رمزًا يا ولدي .. إنه كلمة .. كلمة
بحروف مجهولة ، لن تجدها في أية قواميس ، أو حتى مراجع
اللغات القديمة .. كلمة لا ينجح في نطقها إلا الأشرار
والنُّعساء ..

سأله (نور) في لهفة :

— وما الذي تُعنيه هذه الكلمة ؟

تضاعف شُحوبه ، حتى بدا أشبه بجثة تمشي على قدمين ،

وهو يغمغم :

— إنها تُعنيه هو .

هتف (نور) في دهشة :

— هو !؟

أجابه العجوز في شُحوب رهيب :

— نعم .. هو .. الشيطان .. الشيطان نفسه .



٨ - المعرفة ..

نستطيع أن نقول بكل ثقة ، وبلا أدنى مجاملة ، إن صمتنا
تماماً قد خيم على حجرة مكتب الدكتور (عزيز) لخمس دقائق
كاملة ، قبل أن يغمغم (نور) في جذة :

— الشيطان؟! .. لا ريب أنك تمزح .

هاله شحوب العجوز ، وهو يغمغم في خوف واضح :

— أمزح؟! .. وهل يمزح المرء في مثل هذه الأمور

يا ولدي؟

كانت عينا (نور) تحملان كل الحيرة والشك والقلق ،

والرغبة في عدم تصديق ما يسمعه ، أو يراه ، وهو يجلس في

بطء على مقعد قريب ، مردداً :

— ولكن هذا مستحيل !!

تطلع إليه الدكتور (حجازي) في شحوب ، ثم جلس إلى

جواره صامتاً ، في حين يغمغم الدكتور (عزيز) في توثر :

— لماذا يا ولدي؟! .. لماذا مستحيل؟!!

حار (نور) لحظات في البحث عن الجواب ، ثم غمغم في
لهجة تائه :

— لأن الشيطان لن يتفرغ لمهاجمتي وخدي ، وإلا خلا
العالم من شروره ، التي اقتصرت على وخدي ..

مطاً الدكتور (عزيز) شفثيه ، وهز رأسه في بطء ، وهو
يغمغم :

— يبدو أنك لم تستوعب الأمر جيداً يا ولدي .

ثم مال بوجهه المتفضن نحوه ، مستطرذاً في كلمات
ارتجفت حروفها :

— هذه الكلمة تعني الشيطان حقاً ، ولكن هذا لا يعني أن
الذي يهاجمك هو الشيطان نفسه .

ازدرد لعابه في صوت مسموع ، ثم أزدف في خوف :

— إنه ابنه .. (ابن الشيطان) .

ردد (نور) في ذهول :

— ابن الشيطان؟!!

أوماً الدكتور (عزيز) برأسه إيجاباً ، وأعاد جسده إلى
الحلف ، وأمسك ركبتيه البارزتين بكففيه ، قبل أن ينهض وسط
بحر من الصمت ، ويتجه إلى مكتبته الضخمة ، المكتظة بالكتب ،

ويلتقط منها كتاباً قديماً ، اصفرت أوراقه من فرط قدمه ، وراح
يقلب صفحاته في سرعة ، حتى توقّف عند صفحة في
منتصفه ، والتقط منظاره الطّبي ، ووضع على عينيه ، وراح
يقراً في توثر :

— قديماً ، وعندما كان العالم كله غارقاً في ظلام الجهل ،
هبط الشيطان إلى الأرض ، وراقت له واحدة من بنات
البشر ، فتشكّل في صورة برّاقة ، وراق لها في هيئته البشريّة ،
فتزوّجته ، وأنجبت منه ابناً ، هو نصف بشريّ ، ونصف
شيطان ، وهو خالد أبد الدهر ، لا يموت ولا
قاطعته (نور) في جدّة :

— ما من مخلوق خالد ياسيدي .. الله (سبحانه وتعالى)
وخذ الحى ، الذى لا يموت .

تنهّد الدكتور (عزيز) ، وغمغم :

— لا يا ولدى .. لاتناقش هذه الأمور في تعصب أو
عناد ، بل لا بد أن تناقشها بحياديّة تامّة ومنطق متعادل .
وعاد يميل نحوه ، مستطرّداً في حزم :

— هل سيقبى الشيطان إلى يوم القيامة أم لا ؟
غمغم (نور) في توثر :

— سيقبى .

اعتدل الدكتور (عزيز) ، وقال في حزم :

— ما الذى يمنع بقاء ابنه إذن ، مادام هذا لا يعنى الخلود ؟
تمم (نور) :

— سيدى .. إنك تهدم معتقدات نشأت معي ، و
لوح الدكتور (عزيز) بذراعه في جدّة ، هاتفاً :

— هذا لا يعنى شيئاً ، فقد ينشأ المرء على معتقدات خاطئة ،
يرضعها مع لبن أمه ، ويتنفّسها مع ثنوّه ، وتحفر خطوطها على
جبينه ، وفي عينيه ، ولكن هذا لا يعنى أن يتشبّث بها ، وأن
يرفض مناقشتها .

خفض (نور) عينيه ، وهو يغمغم :

— أنت على حقّ ياسيدي .

عاد الرجل يقول في حزم شديد :

— كم يبلغ عمر السلخفاة ؟ .. وكم يبلغ عمر ذباب
المستنقعات ؟ .. ومتى يأتي يوم القيامة ؟ .. أجب عن هذه
الأسئلة الثلاثة ، تستوعب منطق مخلود (ابن الشيطان) في
سلاسة .

كان ذكاء (نور) قادراً على إدراك مغزى الأسئلة ، فغمغم
في استسلام :

— لقد فهمت يا دكتور (عزيز) .. فالسُّلْحَفَاءُ يتجاوز
عمرها المائتى عام ، بالنسبة لبعض أنواعها ، على حين يُولد
ذباب المستنقعات ، وينمو ، ويموت ، فيما لا يتجاوز
اليومين ، وهذا يَعْنِي أن السلحفاة قد تبدو بالنسبة لذبابة
المستنقعات خالدة ، فى حين أنها ، على الرغم من طول عمرها
فانية ، وما دام أحد لا يعلم متى تقوم القيامة ، فهذا يَعْنِي أنها
قد تحدث الآن ، والخلود يَعْنِي أن يحيا المخلوق حتى تقوم
القيامة .. أقصد أن هذا مفهومنا نحن .. يا إلهى !!.. لقد
أدركت ما تقصده يا دكتور (عزيز) ..

تطلع إليه الدكتور (حجازى) فى دهشة ، وهتف :
— صدقنى يا (نور) .. إننى أتساءل : كيف أمكنك
فهم كل هذا بهذه السرعة ؟

ابتسم الدكتور (عزيز) ، وتراجع فى مقعده ، متمتما :
— من الواضح أنه عبقرى .. إنه يذكرنى بصديق قديم
(رحمه الله) كانت له موقعة مُبهرة مع (ابن الشيطان) ،
و

بتر عبارته بغتة ، واتسعت عيناه فى شِدَّة ، ثم مال نحو
(نور) فى حِدَّة مفاجئة ، وأمسك كفيه فى قوَّة ، وهو يهتف :

— يا إلهى !!.. لقد أدركت الآن يا ولدى .. لقد أدركت
لماذا يقاتلك ذلك البشع .. لقد أدركت سِرَّ القتال ..

* * *

اشتعل لهيب الجحيم كله فى عيني الشيطان الصغير ، وهبَّ
واقفاً فى غضب ، على نحو جعل (صفوت) يرتجف ، ويلتصق
بالحائط ، هاتفاً فى رُعب :

— ماذا حدث ؟ .. ماذا حدث يا سيدي ؟
هتف (ابن الشيطان) فى صوت قوى ، ارتجفت له
جدران منزل (صفوت) ، وهو يقول فى غضب :
— حفيد (أوزيريس) .. آخر أعدائى على وجه
الأرض .. لقد علم الآن فقط أنه يواجهنى أنا ..

تمم (صفوت) فى دهشة ، وتوثر :
— علم ؟! .. ألم يكن يعلم ؟
أثقت عينا (ابن الشيطان) ، وهو يقول :
— كان سيعلم فى الوقت المناسب .
تردد (صفوت) طويلاً ، ثم غمغم :
— لِمَ لا تتركى أقتله يا سيدي ، ونهى هذا الصراع ؟

هوت كل خلية من خلاياه رعباً ، عندما هتف الشيطان الابن ، في غضب رهيب :

— تفتله؟! .. أكنت تظنني عاجزاً عن أن أفعل ، منذ اللحظة الأولى؟. قتل حفيد (أوزيريس) هذا لن يقتضى مني أكثر من ساعة واحدة ، ولو أنك تظن أنني أحتاج إلى بشرى ليفعل ذلك ، فأنت أحمق واهم .. إنك هنا لمهمة واحدة .. مهمة واحدة فقط .

غمغم (صفوت) في توثر :

— مهمة واحدة .. ماهي يا سيدي ؟

أجابه في صرامة :

— ستعرفها في حينها .

كانت لهجته مخيفة ، حتى أن (صفوت) لم يجرؤ على تكرار سؤاله ، وانكمش في مكانه ، في حين ابتسم سيده ابتسامته الشيطانية ، وعاد يقول :

— لا زيب أنك تتساءل عن السر ، في أنني لم أجد إلى قتل

حفيد (أوزيريس) هذا مباشرة .. أليس كذلك ؟

أوماً (صفوت) برأسه إيجاباً ، دون أن ينبس ببنت شفة ، فأتسعت ابتسامته الشيطان الصغير ، وبدت لمساعدته البشرية مُرعبة ، وهو يقول :

— لأن قومي أيضاً لهم تاريخ .. وتاريخهم هذا يمثل بسجلات هزائم وانتصارات بني جنسنا على بني جنسكم ، ولقد كان من نصيبي ، في المائة عام السابقة ، هزيمة نكراء ، على يد جدّ ذلك الرائد ، وهذا يجعلني لا أجرؤ على رفع عيني في عيني الجميع ، عندما أعود إلى موطنى الأصلي ، وأستعيد هيئة أجدادي .

ارتجف (صفوت) ، بمجرد تصوّر هذا الواقف أمامه ، وهو في هيئة الشيطانية ، وراح يتطلّع إليه في خوف ، وهو يسمعه يستطرد :

— لذا فأنا أرغب في توكيد هذا الرائد هزيمة منكورة ، تكون فخراً لي ، ولقومي كلهم .. وهذا ما ينبغي أن يسعى إليه أمير للجحيم مثل .

وفجأة ، عادت لهجته إلى صرامتها ، وهو يهتف :

— هزيمة نكراء ..

انتفض جسد (صفوت) كله رعباً ، وانكمش في مكانه تماماً ، حتى لقد بدا وكأن جسده قد تضاعف ، وتحول إلى قزم صغير ، في حين أشاح الشيطان الابن بوجهه عنه ، وهو يقول في صرامة :

— والآن اصمت تمامًا ، ودعني أستمع إلى ما يدور بين
خصمي اللدود ، وبين ذلك العجوز السخيف ، الذي يعلم
عني كل شيء .

وارتسمت على شفثيه ابتسامة ساخرة ، لم يرها
(صفوت) ، وهو يستطرد :

— كل شيء .. تقريبًا .

ثم أطلق ضحكة شيطانية ساخرة ..
ضحكة من أعماق أعماق الجحيم ..

« أنت تحمل دم (أوزيريس) » ..

نطق الدكتور (عزيز) بهذه العبارة في لهجة إقراطية حادة ،
سرت لها قشعريرة غامضة في جسد (نور) ، قبل أن يغمغم
في دهشة :

— دم (أوزيريس) !؟

أجابه العجوز في حزم :

— نعم .. دم (أوزيريس) .. لقد تذكرت الآن من
أنت .. لقد كان جدك هو ذلك الصديق ، الذي تحدثت عنه
منذ لحظات .. هو أيضًا كان يحمل في عروقه دم (أوزيريس) ،



ارتجف (صفوت) ، مجرد تصور هذا الواقف أمامه ، وهو في هيئة
الشيطانية ، وراح يتطلع إليه في خوف ..

ولقد اشتبك مع (ابن الشيطان) هذا في معركة حامية
الوطيس ، كان له فيها النصر ، ولقد قضى على ذلك اللعين
بوسيلة ما ، وأجبره على القودة إلى الجحيم عدة أعوام لا حصر
لها .

هتف (نور) في لهفة :

— كيف هزمه جدى؟! .. وكيف عاد هو إلى الأرض ؟
هز الرجل رأسه في أسف ، وغمغم :

— لست أدري كيف هزمه جدك ، فلقد فعل ذلك
وخده ، وأصيب بعدها بصدمة شديدة ، جعلته يلزم فراشه
طويلاً ، وعندما التقيت به ، قبل أن يلفظ أنفاسه الأخيرة ،
أشار إلى قرص معدني ، كان يحمل نفس هذه النقوش ، وقال
كلمة واحدة : « دَمَّرَهُ » ، ثم هرع إلى لقاء ربه .

سالت دمة حزينة من عينيه ، تشف عن مدى ما تحمله له
تلك الذكرى من ألم ، قبل أن يستطرد :

— وهكذا بقيت نقطة ضعف (ابن الشيطان) سرًا
غامضًا .

هتف (نور) :

— كيف عاد إذن ؟

مطَّ العجوز شفثيه في أسف ، وقال :

— ذلك القرص المنقوش ، الذي تركه لي جدك ، هو
الوسيلة الوحيدة لإعادة (ابن الشيطان) إلى الأرض ، فمن
الضروري أن يمسك به شخص ما ، ويقرأ النقوش المرسومة
عليه .. والتي تعني اسم الشيطان .. فإذا ما فعل شخص
ذلك ، يعود هو إلى الأرض .

صاح الدكتور (حجازي) :

— لِمَ لَمْ تدمر ذلك القرص إذن ؟

هتف العجوز في حنق :

— لقد حاولت .

وعاد صوته ينخفض ، وهو يقول في مرارة :

— صدقني .. لقد حاولت .. استخدمت كل الوسائل

المعروفة ، في ذلك الحين ، وضعت في أفران حرارية رهيبه ،
تبلغ درجة حرارتها ما يربو على عشرة آلاف درجة مئوية ،
وحاولت إذابته في مزيج من أقوى الأحماض المعروفة على وجه
الأرض .. سحقته بضغط رهيب ، يفوق مائتي ضعف للضغط
الجوي ، لكن بلا فائدة ..

سأله الدكتور (حجازي) في خوف :

— أتعني أنه ما من وسيلة لتدميره ؟

هز رأسه نفيًا ، مغمفًا :

— بحسب علمي ، لا توجد وسيلة معروفة .

ثم استدرك في انفعال :

— ولكنني دفنته بعيدًا .. في أعماق أعماق الصحراء ، في

موقع مجهول ، لم أحاول أنا نفسي تحديده ، وأقسم إنني قد

نسيتَه تمامًا .

غمغم (نور) في سُخط :

— لقد استعاده أحدهم حتمًا .

هتف العجوز في ألم :

— بالتأكيد .. هذه هي الوسيلة الوحيدة ، لعودة (ابن

الشیطان) إلى الأرض .

تنهد (نور) في توثر ، وقال في عصبية واضحة :

— إذن فقد علمت أخيرًا من هو عدوي .. ولكنني

مازلت أجهل كيف يمكنني القضاء عليه .. أو ما الذي فعله

بابتي !!

انتفض الدكتور (عزيز) في مقعده ، وكأنما أصابه مس من

الشیطان ، وهتف وهو يمسك كتف (نور) في قوة :

— ابتك !؟ .. ما الذي فعله بها ؟

أجابه (نور) ، وقد أدهشه انفعاله المبالغ فيه :

— لست أدري ياسيدي .. لقد كانت ترقد في

المستشفى ، مصابة ببعض الرضوض ، وبكسر في أحد

أضلاعها ، ثم انتابتها فجأة ثورة جنونية ، و

قاطعها الدكتور (عزيز) في توثر بالغ :

— وتضاعفت قوتها في شدة ، وباتت أشبه بشيطان

هتف (نور) في توثر :

— نعم .. هذا ما حدث بالفعل .. ما الذي يعنيه ؟ ..

ما الذي يعنيه يا رجل ؟

تراجع الدكتور (عزيز) شاحبًا ، وهتف في مرارة :

— يعني أن ابتك قد أصبحت تحمل في عروقها دمًا غير

بشرى أيها الرائد .. إنها تحمل دمًا شيطانيًا ..

٩ - ابنتك يا (نور) ..

مسحت (سلوى) دمعة ، تفرقت على وجنتها ، وهي تتطلع إلى ابنتها ، الراقدة على سريرها ، في حجرة العناية المركزة ، غائبة عن الوعي ، وغمغمت في حزن ، تسأل رئيس أقسام الطوارئ :

— أما من وسيلة ؟ .. هل ستتخلى عنها هكذا ؟

قلب الرجل كفيه في خيرة ، وغمغم في يأس :

— كم يؤسفنى ويحزننى أن أجد نفسى عاجزاً هكذا ياسيدتى ، وأنا أواجه ما أجهله ، وما لم يرد ذكره في كل كتب ومراجع الطب .. إننى أقدر الآن خيرة (ألكسندر فلمنج) أمام تقيح الجروح في عصره (*) ، وأشفق على أطباء

(*) سير (ألكسندر فلمنج) : (١٨٨١ - ١٩٥٥ م) ،
بكتريولوجى إسكتلندى ، لاحظ عام (١٩٢٨ م) أن غفنا قد تؤث
مزارعه البكتريولوجية ، فأباد الجرثام داخلها ، وأطلق عليه اسم
(البنسلين) ، واقسم مع آخرين جائزة (نوبل) ، بسبب أبحاثه عن
(البنسلين) ، عام ١٩٤٥ م .

القرن العشرين ، الذين وقفوا عاجزين ، أمام وباء
(الإيدز) ، قبل أن يجدوا علاجه .. صدقيني .. إننى أشعر
بآلام لا وصف لها .

هتفت في مرارة :

— لن تفوق آلامى .. إنها ابنتى .

رَبَّت على كتفها مشفقاً ، ومغممًا :

— إننى أقدر ذلك .

وفجأة ، تراجع هاتفاً في توثر .

— يا إلهى !.. لقد عاد رسام المخ يمنحنا تلك الإشارة

الخفيفة .

هتفت في ذعر ، وقد تعلقت عيناها برسام المخ :

— يا إلهى !!

كان الجهاز الإلكتروني يبدو كما لو أصابه مس من
الجنون ، وهو يرسم تلك الخطوط المتعرجة الحادة ، في سرعة
ضخمة ..

رفجأة ، نهضت (نشوى) ..

تماماً كالمرأة السابقة ، نهضت كآلة تبدأ عملها ، بعد طول

توقف ..

وتمامًا كالمرّة السابقة أيضًا ، انتزعت الأنايب العلاجية من
جسدها ، وغادرت فراشها في بطن ، ثم اتجهت نحو الباب ،
الذي تم تغيير بابه الزجاجي السميك .

وهتف رئيس الأقسام :

— ابتعدوا .. ابتعدوا عن طريقها .. لاتعرضوا

مسارها .

صرخت (سلوى) في دُعر :

— ولكن الباب الزجاجي .. لو أنها حطمته بقبضتها ،

فستصاب بجروح كالسابق .

هتف رئيس الأقسام :

— إنه مفتوح .

وبالفعل دفعت (نشوى) الباب ، فانفتح في هدوء ،

وغادرت الحجرة في خطوات حازمة ، متجهة نحو مخرج

القسم ، فهتفت (سلوى) :

— أوقفوها .. أرجوكم أوقفوها .

صاح رئيس الأقسام :

— لن يجرؤ أحد على ذلك ياسيدتي ، بعد أن رأوا

ما أصاب زميلهم ، الذي حاول ذلك مسبقًا .

هتفت في حدة :

— سأفعل أنا إذن .

واندفعت نحو ابنتها ، في محاولة لإيقافها ..

ولكن فجأة ، انقضت صاعقة الرُعب ..

لقد هبّت عاصفة ساخنة مخيفة ، داخل ممر المستشفى ..

عاصفة كلّفح اللهب ، أطاحت بالجميع إلى الجدران ..

وصرخ رئيس الأقسام في رُعب :

— يا إلهي .. ما الذي يحدث هنا ؟

وتعالت صرّخات الجميع في رُعب وقزّع ، واتسعت عينا

(سلوى) في هلّع ، وهي تهتف :

— ربّاه !! .. ما هذا !؟

كانت ابنتها الوحيدة ، التي لم يُطخ بها الإعصار ..

وحدها كانت تسير في هدوء ، نحو الحائط ..

وأمام عيون الجميع المذهولة ، انشق الحائط نصفين ..

ومن خلفه بدا مشهد عجيب ..

حجرة مكتب قديمة ، خالية من الأثاث تقريبًا ، فيما عدا

إطارًا صغيرًا ، يزيّن الجدار المواجه ..

وإلى جوار اللوحة وقف رجل مثّشح بالسواد ..

بل شاب يرتدى حُلَّة سهرة سوداء أنيقة ، ورباط عنق
فراشيًا صغيرًا ..

وكان هذا الشاب وسيماً ، جميل الطلعة إلى أقصى حد ..
ولكن مرآه ألقى الرُّعب في قلوب الجميع ..
صحيح أنه كان يقف هادئاً ، يعقد ساعديه أمام صدره ..
وأنه كان يتسمم ..

ولكن عينيه كانتا تبعثان الرُّعب في القلوب ..
كانتا متقدتين كاللهب ..

وفي هدوء ، اجتازت (نشوى) ذلك الشَّق في الجدار ..
وصرخت (سلوى) في رُعب هائل :

— كلاً يا (نشوى) .. كلاً ..

ولكن ذلك الأشقر الوسيم الخفيف ، قال في لهجة امرأة ،
وصوت قوي مخيف :

— تعالني ..

وأطاعت (نشوى) ..

وعبَّرت الشَّق ..

وفي بظء ، راح الشَّق يلتحم ، و (سلوى) تصرخ :

— لا يا (نشوى) .. عُودى .. عُودى ..



وحدها كانت تسير في هدوء ، نحو الحائط ..
وأمام عيون الجميع المذهولة ، انشق الحائط نصفين ..

ثم التحم الشق ..

وهدأت العاصفة ..

لقد انتهى كل شيء ..

ضاعت (نشوى) ..

ضاعت إلى الأبد ..

اتسعت عينا (نور) دُعْرًا ، وهو يتطلع إلى الدكتور

(عزيز) ، هاتفاً :

— ما الذى تعنيه يا سيدي ؟ .. ما الذى تعنيه بأن ابنتى

تحمل فى عروقها دمًا شيطانيًا ؟

هتف الدكتور (عزيز) فى مرارة :

— إننى أغنى كل حرف نطقت به يا ولدى .. أغنيه قولاً

وفعلًا... إن ما أصاب ابنتك هو أحد أساليب الشيطان الابن ،

للسيطرة على ضحاياه .. إنه يدفع فى عروقهم بعضًا من دمائه ،

فيتحولون بها إلى أتباع له ، ويفقدون كل سيطرة على أنفسهم

تقريبًا .

غمغم (نور) فى ارتياح :

— يا إلهى !!

ثم عاوده عناده ، فهتف :

— ولكن من قال إن جسد الشيطان يحوى دمًا

كأجسادنا ؟

أجابه العجوز فى ضيق :

— لا تخوّر كلماتى يا ولدى ، ولا تكابر أو تعاند ،

فالوسيلة الوحيدة لمقالة خصمك هذا ، هى أن تكون واقعيًا

ومنطقيًا ، وإلا فإنه سيزمك حتمًا .. لا أحد يعلم كيف يبدو

الشيطان نفسه ، سوى خالقه (عزّ وجلّ) ، أما ابنه ، فنحن

نعلم كيف يبدو ، فى هيئته الأرضية على الأقل ، ولاتنس أبدًا

أنه نصف بشرى ، وأنه يملك بعضًا من صفات البشر ، إلى

جوار صفاته الشيطانية ، وهذا يعنى أن له دمًا ، ولكنه ليس

دمًا بشريًا خالصًا ، بل دمًا يحمل نصف سمات الشياطين .

انهار (نور) معنويًا ، وهو يهتف :

— وكيف ؟ .. كيف يُمكن انتزاع هذا الدم من جسدها ؟

تنهّد العجوز ، وغمغم فى حسم :

— لدى الوسيلة .

هبّ (نور) من مقعده ، وعاد الأمل يخفق بين ضلوعه ،

وهو يهتف :

— كيف ..؟ أخبرني بالله عليك .

تهض العجوز من مقعده ، والتقط علبه معدنية من مكتبته ، نفخ الغبار عنها في بطء ، وهو يغمغم :

— هل قرأت أساطير مصاصي الدماء القديمة يا ولدي ؟
هتف (نور) في توثر ، بعد أن تبادل نظرة دهشة مع الدكتور (حجازي) ، الذي اكتفى بالصمت طيلة الوقت تقريباً :

— بالطبع يا سيدي .. ولقد كانت لنا موقعة مع مصاص دماء مزيف فيما مضى (*) ، ولكن ما علاقة ذلك ب.....
قاطع العجوز في هدوء ، وكأنما لا يعنيه كثيراً أن يستمع إلى تعقيبه :

— في تلك الأساطير توجد وسائل خاصة ، لمواجهة ومقاومة مصاصي الدماء ، كالشمس والماء الجاري ، والثوم ، ولقد أضاف بعض المتدينين المسيحيين ، مثل (برام ستوكر) ، مؤلف أول قصة عن مصاصي الدماء ، إلى تلك الوسائل الماء المقدس .

(*) راجع قصة (ليلة الرعب) .. المغامرة رقم (٢٢) .

عقد (نور) حاجبيه ، وهو يقول في توثر :

— سيدي .. إنني لم أدرك بعد علاقة هذا ب.....

مرة أخرى قاطعه العجوز ، وهو يلتقط من علبته المعدنية شيئاً ما :

— لقد أثبتت دراساتي ، وأبحاثي أن كل هذا مجرد وهم .. فلا وجود لما يسمى بمصاصي الدماء ، وهذا يعني أن كل ما ذكر عنهم ، بما في ذلك وسائل القضاء عليهم ، مجرد هراء ، ولست أعني هنا مريض (البروفيريا) ، الذين يدون أشبه بمصاصي الدماء بالفعل (*) ، وإنما أعني مصاصي الدماء الذين وردوا في الأساطير ، و.....

في هذه المرة قاطعه (نور) ، صائحاً :

— سيدي .. ما علاقة هذا بما نحن بصدده ؟ .

(*) البروفيريا : مرض شديد الندرة ، ينشأ من نقص البروفيرين في تكوين الدم ، ويصبح المصاب به شاحباً ، بارز الأنياب ، شديد الحساسية للشمس ، ويشعر بالارتياح إذا ما أضاف إلى معدته بعض الدماء ، ويقال إن مريض (البروفيريا) هم السبب في ظهور أسطورة مصاصي الدماء .

فتح الدكتور (عزيز) يده ، فظهرت فيها قنينة صغيرة ،
أشار إليها ، قائلاً :

— لست أدري ما علمية الأمر يا ولدي ، ولكن هذه
المياه ، التي تخرج من بئر (زمزم) في (مكة) ، هي الوسيلة
الوحيدة ، للقضاء على دماء (ابن الشيطان) ، في أجساد
ضحايها .

اختطف (نور) القنينة ، وهو يهتف في لهفة :

— شكراً يا سيدي .. سأحقنها على الفور بتلك المياه .
غمغم الرجل في شُحوب :

— المهم أن تفعل في الوقت المناسب يا ولدي .

توقف (نور) ليسأله في توثر :

— ماذا تعني يا سيدي ؟

سأله الرجل في قلق :

— قل لي أولاً : متى بدأت تلك التوبة مع ابنتك ؟

أجابه (نور) في قلق متضاعف :

— لقد أصابها التوبة الأولى مساء أمس .

شُحِب وجه الدكتور (عزيز) ، وهو يقول :

— هذا ما كنت أخشاه .. أسرع إذن يا ولدي ، فلو أنك

لم تحقنها بتلك المياه ، قبيل الفجر ، فسيفنى هذا أنك ستفقدتها
إلى الأبد .

هتف الدكتور (حجازي) في دُغر :

— ما الذي تعنيه يا سيدي ؟

التفت إليه الدكتور (عزيز) ، وهو يقول في شُحوب :

— لو أشرفت الشمس على الضحية ، التي تحمل دماء

(ابن الشيطان) مرتين ، فسيفنى هذا أن تتحول إلى الأبد إلى

نسخة منه .. إلى نصف شيطان .

هتف (نور) :

— يا إلهي !! لن أسمح بذلك أبداً يا سيدي .. لن أسمح

به .

وقبض على القنينة بقوة ، واندفع نحو الباب ..

ولكن فجأة انفتح الباب في عنف ، وبدا على عتبة مخلوق

خرافي مخيف ..

مخلوق هو نصف بشري ، ونصف نمر ..

رأس بشري وذراعاها وجذعه ، وجسد نمر ..

وزار المخلوق الأسطوري في قوة ، وهتف الدكتور

(عزيز) ، وهو يتراجع مع الدكتور (حجازي) في رُعب :

— إنه أحد حيواناته ولا شك .. إن ذلك الشيطان الصغير

لن يسمح لك بهزيمته .. لن يسمح بها أبداً ..

١٥ - صنيعه الشيطان ..

كان المخلوق مخيفاً حقاً ..
حتى وجهه شبه البشرى ، كان بشعاً ، يحوى عينين
ناريتين ، وأنياباً حادة بارزة ..
ولقد كان يتطلع إلى (نور) ..
كان من الواضح أنه قد جاء من أجله ..
من أجله وخذته ..
ولكن (نور) لم يشعر بالخوف ..
لقد أدرك من غدوّه ..
وأدرك هدفه ..
ولن يسمح لـ (ابن الشيطان) بالانتصار عليه أبداً ..
وفى حزم ، أشار (نور) بكفه ، قائلاً لرفيقه :
— ابتعدا .. إنها معركة بينى وبينه ..
صاح الدكتور (حجازى) فى رُعب :
— احترس يا (نور) .

أجابه (نور) فى حزم وصلابة :

— اطمئن يا سيدي .

وفى هدوء ، امتدّت يد (نور) تلتقط خنجراً أثرياً
خاصاً ، من فوق مكتب الدكتور (عزيز) ، ثم وضع قنينة
المياه الصغيرة فى جيبه بكل عناية ، ووقف يواجه ذلك المخلوق
المخيف ..

وأدرك نصف الثمر أن هذا البشرى يتحدثاه ، فزار فى
عناد ..

ثم انقضّ ..

انقضّ بنصفيه الآدمى والوحشى على خصمه ..
على (نور) ..

اندفعت (سلوى) نحو ذلك الجدار ، الذى اختفت خلفه
ابتها ، وراحت تدفقه بقبضتها فى هلع ، وهى تصرخ :
— (نشوى) .. أين أنت ؟ .. أين أنت ؟
كانت تضرب الحائط ، وتصرخ ، وتلقت حولها فى
انهار ..

كانت مصابة بانهار عصبى عنيف ..

وكذلك رئيس الأقسام ومعاونوه ..

لقد وقف الجميع في ذُهور ، يُحدّقون في الحائط نفسه ،
قبل أن ينتزع رئيس الأقسام نفسه من ذُهوره ، ويهتف :

— أسرعوا .. فليفحص أحدكم قسم الجراحات ، خلف
هذا الجدار ، ولتصدر أوامر بمنع الخروج من المستشفى ، تحت
أية ظروف ، وليبلغ أحدكم القسم الهندسى ، ليرسلوا أربعمائة
مهندسهم ؛ لفحص ذلك الجدار .

ثم اندفع نحو (سلوى) ، هاتفاً :

— كفى ياسيدتى .. كفى .

راحت تقاومه في شراسة ، وهى تصرخ :

— ابنتى .. أعيدوا إلى ابنتى .

صاح في حزم :

— كفى .. إنك تحطمين أعصابك هكذا .

صرخت فى مزيد من الهياج :

— أعيدوا إلى ابنتى .

وهنا هوى على وجهها بصفعة قوية ، ارتج لها رأسها ،

وجعلتها تحدق فى وجهه بدهشة عارمة ، قبل أن تهتف غاضبة :

— كيف تجرؤ

قاطعها فى حزم :

— لقد نجوت من انيار عصبى ، وهذا ما يهمنى .

تطلعت إليه فى دهشة ، ثم نقلت بصرها إلى الجدار ،

وانفجرت باكياً ، هاتفة :

— أريد ابنتى .. أرجوكم .

ربت على كتفها ، مغمغماً فى خيرة :

— سنبذل أقصى جهدنا ياسيدتى لاستعادتها .. صدقيني .

تشبّثت به ، وهى تهتف :

— حاول أن تحضر زوجى إذن .. إنه الأمل الوحيد

الآن .. الأمل الوحيد ..

كان (نور) يشبه تماماً أبطال الأساطير ، وهو ينقض على

ذلك الحيوان الخرافى ، نصف الآدمى ، ونصف الوحشى ..

ولقد اختلطت صرخته القتالية الصارمة ، بزئير ذلك

المخلوق ، قبل أن يلتحما معاً فى مشهد مخيف ..

وراح المخلوق الوحشى يُطلق صرخات مخيفة ، وهو يحاول

اقتناص عُق (نور) بأسنانه ، وتمزيق جسده بمخالبه ..

ولكن (نور) كان ثائراً ..

كان غاضبًا حقًا ..

و (نور) مخلوق هادئ جدًا ، عندما يفكر ..

شديد العصبية إزاء الغموض ..

شديد العنف والقسوة عند الغضب ..

هكذا هو ذومًا ..

خليط من المشاعر والصفات المتناقضة ..

وهكذا هو ذومًا ..

عملاق عندما يثور ..

ولو أن هذا المخلوق الخرافى متوحش ، ف (نور) في هذه

اللحظة كان يستحق لقب (قاهر الوحوش) ..

ربما لأنه لم يكن يقاتل من أجل نفسه ..

بل من أجل ابنته ..

كان يعلم أن الأمل الوحيد ، لنجاة ابنته من مصيرها

الأسود ، هو أن يصل إليها ، وأن يحقنها بتلك المياه ، التي تحويها

القارورة الصغيرة ، التي تستقر في جيبه ، قبل الفجر ..

وفي إصرار وعناد شديد ، دفع رأس المخلوق بساعده

الأيسر ، ثم انثنى في رشاقة مذهشة ، أكسبته إيها تدريبات

إدارة المخبرات العلمية الشاقة ، واعتلى ظهر غريمه ..

ويده اليمنى ، التي تحمل الخنجر ، إنهال على عنق المخلوق

الوحشى ..

وغاب الخنجر حتى مقبضه في عنق المخلوق ، الذي أطلق

صرخات ألم وغضب وحشية ..

وارتفع خنجر (نور) ، وهوى .. وهوى .. وهوى ..

ولدهشة الدكتور (حجازى) ، والدكتور (عزيز) ،

راح المخلوق الوحشى ينزف دمًا أخضر اللون ..

دمًا شديد الكثافة ..

ثم أطلق خوارًا كالثور ، ودارت عيناه في محجريهما ،

وهوى ..

لقد انتصر ابن آدم ..

انتصر (نور) في معركة مع نصف آدمى متوحش ..

وبقيت معركة الكبرى ..

معركته مع (ابن الشيطان) ..

كان الدهول يملأ كل خلجة من خلجات وجه رئيس أقسام

الطوارئ ، وهو يهتف :

— مستحيل !! .. لقد رأينا جميعًا هذا المشهد الخرافى ..

رأيناه بما لا يدع مجالًا للشك ، ولكن

ارتجف قلب (سلوى) ، وهى تسأله :

— ولكن ماذا ؟

قلب كفيه فى خيرة ، وهو يقول :

— ولكن كل الفحوص تؤكد أنه ما من شىء غير طبيعى ..

أطباء قسم الجراحة كانوا يجرون إحدى عمليات الليزر
الميكروسكوبية عندما رأينا ذلك ، وهم يؤكدون أنه لم يحدث
لديهم أى شىء غير طبيعى ، ورجال القسم الهندسى يؤكدون
أن ذلك الجدار طبيعى تماما ، بل إنه من المستحيل أن يتشقق ،
أيًا كان السبب ، نظرا لطبيعة بنائه ، وأنه حتى لو حدث هذا ،
فهو لن يلتحم بهذه الدقة قط .

شعب وجهها ، وافتقع فى شدة ، وهى تقول :

— ما الذى يعنيه هذا ؟

هز كفيه فى خيرة ، مغمغما :

— إنه لا يعنى أى تفسير علمى حتما .

وتردد لحظة ، قبل أن يستدرك :

— ولكنه

قالها وصمت ، وكأنما وجد أنه ليس من اللائق أن يعم

عبارته ، فهتفت (سلوى) ، تستحثه على المواصلة :



واعلى ظهر غريمه .. وبيده اليمنى ، التى تحمل
الخنجر ، انهال على عنق المخلوق الوحشى ..

— ولكنه ماذا ؟

تردّد مرّة أخرى ، قبل أن يفهم في حفوت ، وفي لهجة
يغلب عليها طابع الحياء :

— كنت أقصد أنه يذكرني بحكايات جدّي الخرافية .

غمغمت في دهشة :

— حكايات جدّتك !؟

تردّد للمرّة الثالثة ، ثم تمم :

— قد يدهشك هذا ، أو يضحكك ، أو يبدو لك
سخيفاً ، إلا أن كل ما حدث هنا يذكرني بحكايات الجنّ
القديمة .

هتفت في دهشة بالغة :

— الجنّ !؟

أجابها في جدّة مبالغتة :

— نعم .. الجنّ .

حدقت في وجهه لحظات ، في مزيج من الدهشة والخيرة ،
وهي تتساءل : أيمزح في مثل هذا الموقف ، أم أنه يعني حقاً
ما يقول ..؟

ولقد جاءها الجواب من بين شفّتيه ، وهو يستطرد متوتراً :

— كل ما حدث يؤكد هذا .. العاصفة الساخنة ،
وانشقاق الحائط ، وذلك الأشقر الوسيم الخيف ، الذي
بداخلها .. ألا يذكرك كل هذا بحكايات الجنّ .

هتفت في جدّة مستنكرة :

— هل تصدّق ما تقول ؟

لوح بذراعيه غاضباً ، وهو يهتف :

— ولم لا !؟ .. الجنّ مخلوقات مثلنا ، ولكنها من النار ،
وليست من الطين ، وهذا يبرّر تلك الرياح الساخنة ، ثم إنه من
المحتمل أن هذا الأشقر جنّي ، أراد الزواج من ابنتك ، أو

قاطعته صارخة :

— الزواج منها !؟ هل جئنت ؟

عقد حاجبيه في غضب ، وهو يقول :

— لماذا ؟ .. هل أنطق بما لم يؤيده العلماء ، أو رجال
الدين !؟ .. لقد ذكر الجنّ في الكتب السماوية ، التي أيدت
وجودهم ، ولقد حرّم زواجهم من البشر ، فهل تتصوّرين أن
هذا التحريم قد جاء ، دون أن يكون هناك زواج بينهم
بالفعل !؟ ..

كلّاً يا سيدي ، مادام هذا الزواج قد حرّم ، فهذا يعني أنه
ممكن .

صرخت في ألم :

— ومع هذا أرفض منطقتك .

صاح مُخْتَقًا :

— لا يوجد سواه .

هتفت في عناد :

— ليس هذا مبررًا لنؤمن به .

جاءها صوت (نور) ، وهو يقول في ألم وحزن :

— ولكنه يحمل بعض الحقيقة يا (سلوى) .

التفت إليه في هففة ، وهي تهتف :

— (نور) ؟ .. يا إلهي !! .. (نور) ؟

وفي تلقائية ، ألقت نفسها بين ذراعيه ، وراحت تبكي ،
وتنتحب في حرارة ، وهو يربّت على ظهرها في رفق ، ورئيس

الأقسام يحدّق فيهما بدهشة ، قبل أن يهتف :

— أنت زوجها؟! .. أنت ذلك الرائد ، من المخبرات

العلمية ؟

أوما (نور) برأسه ، قائلاً :

— هو أنا .

بكت (سلوى) في حرارة ، وهي تهتف :

— ابتنا يا (نور) .. لقد اختفت داخل الحائط .

قال في مرارة :

— لقد علمت كل شيء يا (سلوى) .. من ممرضى

القسم .

ثم أمسك كفيها ، ودفعها بعيدًا ، بطول ذراعيه ، وهو

يسألها :

— هل بدا لك ذلك المكان ، الذي ذهب إليه بها مألوفًا ؟

رددت في خيرة :

— مألوفًا؟! .. أقول لك إنه قد شقّ الحائط ، و

قاطعها في حزم :

— هل بدا المكان مألوفًا يا (سلوى) ؟

اغرورقت عيناها بالدموع ، وهي تغمغم في خيرة :

— لست أدري يا (نور) .. لست أدري .. لقد كان

مجرد حجرة خالية ، لا تحوى سوى لوحة صغيرة ، ذات إطار

قديم ، و

بترت عبارتها بغتة ، وهتف هو ، وقد أدركا معًا طبيعة

المكان :

— حجرة مكتب جلدى .

ثم جذبها من معصمها ، هاتفاً :

— لقد علمت الآن أين أخذها ذلك الشيطان الوغد الصغير .. إلى منزل جدى القديم وسط المزارع .. إلى حجرة المكتب هناك ، حيث ذاق هزيمته السابقة .

هتفت وهى تتبعه لاهثة :

— من هو هذا يا (نور) ؟ .. ولماذا أخذ ابتسا ؟ ..

وكيف !؟

صاح بها متوتراً ، وهو يجذبها إلى الخارج :

— سأخبرك فيما بعد .. عندما يحين الوقت المناسب ..

هيا قبل أن نفقد ابتسا .

هتفت فى ارتياح :

— نفقدها !؟

اختلط هتافها بقصف الرعد ، ودوى البرق ، وانهمار

المطر ، مما منح الجو كله مظهرًا مخيفًا رهيبًا ..

ولكنها تبعت زوجها ..

تبعته إلى حيث الأمل ..

إلى حيث الأمل الوحيد ..

١١ — المواجهة ..

التبتهت عينا (ابن الشيطان) بيريح جهنمى ، أشبه بالنيران المتقدة ، وهو يقف فى شرفة منزل جد (نور) الريفى ، وقال فى شراسة :

— إنه فى طريقه إلى هنا .

مد (صفوت) بصره إلى الأمام ، وودّ لو أنه سأل سيده : كيف يمكنه أن يبصر فى الظلام ، إلا أنه آثر الصمت ، وقد تذكر أنه ليس بشرياً ، واكتفى بأن غمغم :

— متى سيصل يا سيدي ؟

أجابه الشيطان الصغير فى لهفة :

— بعد عشر دقائق على الأكثر .

ثم ارتسمت على شفثيه ابتسامة وحشية ، وهو يستطرد :

— لقد أدرك الآن من يقاتل ، وأين سيكون الصراع

الأخير .. إنه يعرف ساحة المعركة ، ويندفع إليه غير آبه .. كم

يشبه جدّه ! .

التفت إلى حجرة المكتب العريقة الخالية ، واستعاد ذهنه
مشهدا قديما ..

مشهد جدّ (نور) ، وهو يقف في ركن الحجرة ، هاتفا :
— يا إلهي !!.. لقد أدركت كيف .. لقد أدركت الآن
كيف يمكنني القضاء عليك ، وإجبارك على العودة إلى موطن
بني جنسك .

ما زالت كلماته هو تدوى في رأسه ، عندما أجاب ذلك
بضحكة ساخرة ، قائلا :

— مُحال أيها البشرى .. لن يمكنك تصوّر أسلوب
القضاء على أبدا .

هتف الجدّ في صرامة :

— بل لقد علمته .. لقد علمته .

ثم التقط تلك الأسطوانة ، و

نفض عن عقله تلك الذكرى ، التي أورثته مزيدا من
الغضب والثورة ، فهتف في سخط :

— سيدفع آخر أحفاد (أوزيريس) الثمن .

سرت قشغريزة باردة في جسد (صفوت) ، ثم أشار إلى
مُسَدّس ليزريّ ، يقبع داخل جيبه ، متممًا في تردّد :

— سيدي .. لست أحب أن أكرّر قولًا ، ولكن لو أنك
ترغب في أن أقتل ذلك الرائد ، فأنا

قاطعته (ابن الشيطان) في غضب :

— كلاً ..

انتفض (صفوت) ، وغمغم :

— أردت فقط أن أعرض الأمر .

رفع الشيطان الصغير يده في وجه (صفوت) ، ولوّح

بسبّابته ، قائلا في صرامة :

— قلت لك إنني أحتفظ بك ، من أجل مهمّة واحدة ..

مهمّة محدودة ، لا يحق لك تجاوزها .

ثم اعتدل ، مستطرذا في حزم :

— ولقد حان الوقت لتعلم طبيعة مهمّتك .

غمغم (صفوت) في توأثر :

— أنا رهن إشارتك يا سيدي .

اثققت عينا مبعوث الجحيم مرّة أخرى ، وهو يقول :

— ستعلم كل شيء الآن .. المهمّ هو ألا تتدخل في صراعي

مع حفيد (أوزيريس) هذا أبدا ، مهما كانت الأسباب ..

هل تفهم ؟ .. مهما كانت الأسباب .

* * *

« شيطان !؟ .. » ..

أقلت (سلوى) تلك الكلمة في رُعب هائل ، وبكلمات
وحرروف حمل ارتجافها هذا المعنى إلى أذنى (نور) في وضوح ،
وهو ينطلق بسيارته الصاروخية ، نحو منزل جدّه الريفي ،
فَعقد حاجبيه في حِدّة ، وهو يقول متوتراً :

— ابته يا (سلوى) .. (ابن الشيطان) ، وليس الشيطان
نفسه :

شَحَب وجهها في شِدّة ، وهي تهتف :

— (نور) .. إنك تثير في نفسي فرغاً شديداً .. حديثك
هذا يَغني أن ابتنا الآن بين يدي نصف شيطان
ثم هزّت رأسها في قوّة ، مستطردة في حِدّة :
— وأنا أرفض تصديق هذا الأمر
قال في صرامة :

— رفضك أو قبولك لن يغيّر من الأمر شيئاً
يا (سلوى) .. صحيح أن كل هذا لا يحوى حقيقة علمية
واحدة ، مدوّنة في أى مرجع علمي معتمد ، إلا أنه الواقع ..
وما زالت عبارة الدكتور (عزيز) تدوّى في أذني : « لكى
تنتصر على هذا الشرّ ، فلا بدّ أن تواجهه بمنطقية وواقعية ،
مهما كان متعارضاً مع آرائك ، وإلا فإنه سينتصر .. سينتصر
حتماً .. »

سَرّت في جسدها قشعريرة خوف ، وهي تغمغم ، وقد
اغرُورقت عيناها بدموع المرارة واليأس :

— ماذا ستفعل إذن يا (نور) ؟ .. ماذا ؟
أجابها في حزم :

— سنواجهه يا (سلوى) .. سنواجه الأمر بلا
تَقاعُس ..
صاحت في ألم :

— كيف يا (نور) ؟ .. كيف ؟ .. إنك تقول إنك ما زلت
تجهل نقطة ضعفه ، فكيف تواجه خصماً ، لا قبل لك بهزيمته ؟
انعقد حاجباه في صرامة ، وهو يقول :

— لم أقل إننى أجهل نقطة ضعفه .. قلت فقط إن الدكتور
(عزيز) ما زال يجهل نقطة ضعفه .
التفتت إليه في دهشة ، وهتفت :

— أتعنى أن أكبر خبراء ما فوق الطبيعيات يجهل نقطة
ضعفه ، في حين تعلمها أنت ؟
أوما برأسه إيجاباً ، وهو يقول :

— هذا صحيح .. وأنا أيضاً كنت أجهل نقطة ضعفه ،
حتى رأيت بَقع الطمى ، وهي ترتطم بالزجاج .

أدارت رأسها تتطلع إلى زجاج السيارة ، الذي تناثرت
فوقه بقع الطمى ، ثم عادت تلتفت إليه ، متسائلة :

— لست أفهم شيئاً ..

ابتسم ابتسامة شاحبة ، وهو ينحرف في طريق جانبي ،
يقود إلى المنزل الريفي مباشرة ، وقال :

— ماذا يحدث لك ، لو أننى ألقيت في وجهك قطعة كبيرة
من الطمى الجاف ؟

عقدت حاجبها ، وهي تقول في جدّة :

— أظن أن ذلك سيؤلمنى ويسبب لى الكثير من الضرر .

هتف فى حماس :

— هذا هو الحل .

غمغمت فى دهشة وخيرة :

— أى حل ؟

أوقف سيارته أمام المنزل الريفي ، وهو يقول فى حزم :

— فيما بعد يا عزيزتى .. فيما بعد .. أما الآن فعلينا أن

نتحرك بأقصى سرعة لإنقاذ ابنتنا .

وغادر السيارة ، وهو يشير إلى الأفق ، مستطرذاً :

— قبل الفجر ..

تطلع (ابن الشيطان) إلى سيارة (نور) ، وهي تتوقف
أمام المنزل الريفي ، واتقدت عيناه الناريّتان انفعالاً ، وهو
يغمغم :

— لقد وصل .

ثم التفت فى هدوء ، وتطلع إلى (نشوى) ، التى وقفت
خلفه صامتة ، شاردة البصر ، تبدو كالفأبىة عن الوغى ،
واستطرد فى لهجة أمرّة :

— استعدى .

غمغمت فى آلية :

— مُستعدة .

ابتسم فى ثقة ، وهو يقول فى حزم :

— أتعلمين من ستواجهين ؟

أجابته بنفس الشرود والآلية :

— أبى .

هتف فى انفعال :

— ماذا ستفعلين به ؟

أجابت على الفور ، وبلهجة تخلو من أية انفعالات :

— سأقتله .

كان يسيطر عليها سيطرة تامة ..
ربّما لأن دماءه تسرى في عروقها ..
دماؤه الشيطانية ..

ولقد أثلج قولها صدره ، فاعتدل ، واشتعلت عيناه بلهيب
الانتقام ، وهو يقول في حزم :
— سيكون هذا أفضل انتقام من حفيد (أوزيريس) .
وانتقل اشتعال عينيه إلى صوته ، وهو يستطرد :
— سيموت بيد ابنته .. دم (أوزيريس) سيقتل بعضه
البعض .

وفي كل أركان المنزل ، تردّدت ضحكته الشيطانية ..
ضحكة مبعوث الجحيم ..

ارتجفت جسد (سلوى) رُعبًا ، والتصقت بزوجها ،
وهي ترتعش في شدة ، وتهتف :

— ما هذا ؟ .. ما هذا يا (نور) ؟

رَبَّت على كتفها مطمئنًا ، وهو يقول :

— لا شيء يا عزيزتي .. لعله صوت الرياح .

هتفت في رُعب :

— كلاً يا (نور) .. إنها ضحكة .. لقد سمعتها في وضوح
غمغم في لهجة ، لم تنجح حتى في إقناعه هو :
— ربّما كان البرق ، أو المطر ، أو ..
قاطعته في جدّة :

— أخبرني يا (نور) .. ما هذا ؟

تنهّد في عمق ، وأجاب :

— إنها ضحكته .

ازداد شحوبها وارتجافها ، وهي تهتف في ارتياح :

— ضحكة (ابن الشيطان) ؟ ..!

ارتجفت في رُعب ، وهي تهتف :

— يا إلهي !!

قال في حزم :

— لقد أتينا إلى هنا ، ونحن نعلم بوجوده ، ونستعدّ

لمواجهته يا (سلوى) .. أليس كذلك ؟

هتفت في خوف :

— ولكن يا (نور) .

أضاف في صرامة :

— من أجل ابنتنا .

كان ذكر ابنتها يكفى ، لأن تنتزع من نفسها كل الخوف ،
وتقول فى صرامة ، وبلهجة حاسمة حازمة :

— سنواجهه يا (نور) .. سنواجهه من أجل ابنتنا ، مهما
كان الثمن .

انطلقت إثر كلماتها ضحكة شيطانية أخرى ، تجمّدت لها
الدماء فى عروقها ، ثم أضيئت كل أنوار المنزل دفعة واحدة ،
فانتفضت فى قوّة ، وشهقت فى دُغر ، وراح جسدها يرتعد بين
ذراعى (نور) فى قوّة ، وهى تغمغم :

— هل جاء؟! .. هل جاء يا (نور) ؟

شعرت بأصابعه تضغط ذراعها فى قوّة ، وبدت لها كلماته
حادّة حاسمة ، وهو يقول فى حزم :

— نعم يا (سلوى) .. لقد جاء .

رفعت عينيها إليه ، ورأته يتطلّع إلى نقطة ما خلف ظهرها ،
فالتفتت فى حركة غريزية ، وتطلّعت إلى حيث ينظر ..

وارتجفت فى رُعب ..

لقد رأته يقف هناك ..

رأت (ابن الشيطان) ..

مضى ما يقرب من دقيقتين كاملتين ، و (نور) و (سلوى)

يتبادلان النظرات ، مع (ابن الشيطان) ، و (سلوى) ترتجف فى
رُعب هائل ، إلى أن قال (نور) فى حزم :

— ها نحن أولاء نلتقى لأوّل مرّة .

أجابه الشيطان الصغير فى لهجة مخيفة :

— كلاً .. ليست أوّل مرّة أيها الرائد .. لقد التقينا فيما

مضى .

عقد (نور) حاجبيه ، وهو يقول فى حدّة :

— متى ؟

ابتسم (ابن الشيطان) فى سُخرية ، وهو يقول :

— لن تذكر أبداً متى ؛ لأنك مثل بنى جنسك .. قصير

العمر ، كما أنكم لم تتوصّلوا بعد إلى حكمة تناسخ الأرواح .

غمغم (نور) فى دهشة :

— التناسخ!؟

هتف الشيطان الابن :

— نعم .. لقد التقينا أنا وأنت ، فى حياة سابقة لك ، وكان

ذلك منذ خمسين قرناً من زمنكم .

غمغمت (سلوى) فى ذُهول :

— منذ خمسة آلاف عام!؟

لُوح (مبعوث الجحيم) بذراعه ، هاتفاً :

— نعم .. كان زوجك ، في ذلك الحين ، قائداً عسكرياً ،
من رجال ملككم المصري (أخناتون) ، ولقد تصدّى لي ،
وأنا أحمل شخصية كاهن من كهنة (آمون) .

واتقدت عيناه شرراً ، وهو يستطرد :

— ولقد التقينا مرّة أخرى ، في (روسيا) ، في بدايات
القرن العشرين .

غمغم (نور) في سخرية :

— وفي أية شخصية كنت أنت ؟ .. في هيئة ذبّ قطبي ؟
هتف ابن الشيطان :

— بل في هيئة الرجل ، الذي مازالت كتب التاريخ تحمل
اسمه حتى الآن ، وتحدّث عن معجزاته وفجوره .
والتهبت عيناه انفعالاً ، وهو يهتف :

— كنت (راسبوتين) (*) .

(*) (جريجورى يفيموفيتش راسبوتين) (١٨٧٢ — ١٩١٦) :

راهب روسي ، سيطر برغم جهله على بلاط قيصر (روسيا) ، ونُسبت
إليه قوَى زوحاية عجيبة ، بعد نجاحه في شفاء ولّى العهد ، ولقد عُرف
بكثرة شروره ومجونه في ذلك العهد .

اتسعت عيون (نور) و (سلوى) ، وهتف الأوّل :

— يا إلهي !! .. إذن فهو أنت .

صاح الشيطان الابن في غضب :

— نعم .. لقد التقينا عشرات المرّات ، في هيئات وثياب
مختلفة ، وفي كل مرّة كنت أنت تتصر ، أمّا في هذه المرّة
فمُحال .

صاح (نور) في صرامة :

— من قال مُحال ؟ .. لقد أتيت إلى هنا ، وأنا أعلم كيف
أهزمتك أيها الجَهَنمي .

أطلق الشيطان الابن ضحكة ساخرة ، وقال :

— هذا لو أنك واجهتني أنا هذه المرّة .

ثم التفت هاتفاً :

— ستقاتل معاويتي .

شهقت (سلوى) في لوعة وذُعر ، عندما برزت ابنتها من
خلفه ، وهي تحمل سيفاً ضخماً ، وعيناها تبرقان في وحشية
وشراسة ، لم تكونا أبداً من صفاتها ..

وغمغم (نور) في لوعة :

— (نشوى) ؟ .. يا إلهي !

انتزع (ابن الشيطان) من الجدار سيفاً مماثلاً ، ألقاه إلى
(نور) ، الذى التقطه على نحو غريزى ، وهو يسمع
(مبعوث الجحيم) يقول :

— إنها معركة لا تعادل فيها أيها الرائد .. إما أن تقتلها ، أو
تقتلك هى ، وفى الحالتين أربح أنا ، وتخسر أنت .
ثم التفت إلى (نشوى) ، قائلاً فى حزم :
— اقتليه .

وفى شراسة ، هبطت (نشوى) فى دَرَجَاتِ السُّلْمِ ،
متجهة نحو أبيها ، وقد شهرت سيفها فى مواجهته ..
وبكى قلب (نور) بين ضلوعه ..
كان عليه هذه المرّة أن يواجه أحبّ الناس إليه ..
ابنته ..

[انتهى الجزء الثانى ، ويليه الجزء الثالث]

[الصراع الجهنمى]

المؤلف



د. نيل فاروق

مبعوث الجحيم

● هل سيظل (ابن الشيطان) منتصرا، في الجولة

الثانية؟

● كيف يواجه (نور) خصمه، دون فريقه، ودون

أن يعلم حتى طبيعته؟

● ترى كيف ينتهي الصراع؟.. ومن يربح المعركة،

(نور) أم (مبعوث الجحيم)؟

● اقرأ التفاصيل المثيرة، وقاتل مع (نور)، من

أجل الخير.



العدد القادم: الصراع الجهنمي